مغامرات

أرسين لوبين

جريمة أرسين لوبين

٥٠ مليما

الفصل العاشر (١)

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي التقى أرسين لوبين وروجر في ملعب لورد ليشهدا مباراة الكريكيت التي كان محددا لاقامتها اليوم السابق فارجئت بسبب المطر .

وقال روجر وهو يوجه منظاره الى فريق كامبردج :

ـ ان تيدي جارلاند يبدو متحفزا جم النشاط كأنما لم يقع بالامس شيء .

فضحك لوبين وقال :

ـ هذا لانه موقن من ان لن يقع شيء جديد .. لقد التقيت به هنا ومعه ابوه على اثر مقابلتي لليفي .

وراح روجر يسأل صاحبه عما تم بينه وبين ليفي في هذه المقابلة . ولكن لوبين تصامم ولم يحر جوابا كأنما لم يسمع السؤال .

وبعد سكتة طويلة قال لوبين :

ـ تم الاتفاق بيننا يا روجر .. ان صاحبنا مستر شيلوك داهية ماكر .. ولكن الصعوبة التي ستجابهني هي أن ..

وامسك عن الكلام .. وأرسل بصره الى حيث يدور اللعب .. وقال : انظر .. ضربة بارعة من تيدي يا روجر .. لقد نفض عنه همومه .. اني موقن من انه سيجيد اللعب .. !

ودار اللعب سجالا .. وكانت ضربات تيدي تقابل بالاعجاب والهتاف . وما اخطأته الاجادة الا مرة واحدة .

(١) اقرأ بداية هذه الرواية في العدد الماضي وعنوانه « سجين البرج » .

وجلس لوبين يرقب اللعب مفتونا وقد اذهله عن حادث دان ليفي ..

ولكن في فترات الراحة استطاع روجر ان ينتزع منه بعض المعلومات .

قال لوبين :

ـ ان للمرابي منزلا يشرف على النهر . ولكني اعتقد ان له منزلا آخر في قلب المدينة . وقد اتفقنا على انه سيكون في انتظاري في داره في الليالي القليلة المقبلة حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

ـ اذن فقد عولت على ان تسطو على مكتب ميدان جراف في هذا الاسبوع .. ؟

ـ هذا لا ريب فيه .. ولكن يجب أولا ان ادرس الموقع والا زججت بنفسي في ورطة شائكة .. انظر .. ما أروع هذه الرمية .. !

وهكذا راح لوبين يتحدث تارة عن اللعب وتارة عن المجازفة المنتظرة .

ولما انتهت المباراة قال لوبين :

هيا بنا .. اني على عجل من امري .. واني لاسائل نفسي عما اذا كنت سأشهد مباراة الغد .. ؟

ـ ماذا تعني .. ؟ اتنوى أن تقدم الليلة على مجازفتك .. ؟

فهز كتفيه وقال :

ـ يجوز .. لست أدري في الواقع

ـ ينبغي أن تخطرني اذا اعتزمت أمرا ..

ـ اذا اتسع لى الوقت يا روجر .. ولكني وعدتك بأن لا ازج بك مرة اخرى في هذه المهالك ..

فقال روجر في حماسة :

— ولكن ما يدريك انى قد اكون ذا نفع لك .

— اذن سأخطرك اذا كنت في حاجة الى معونتك .

والان دع عنا هذا الحديث .. آه . هذا مستر جارلاند وفي رفقته مس بلزيس

وكان المسكين يبدو مهدما محطما وقد نال منه الاعياء وكيف لا وهذا المرابي قد انذره بالتخلى عن قصره استنزف منه أمواله ثم جاء اليوم لكى يقضى على البقية الباقية .. !

ولقد سمعت بلزيس ورات كل شيء .. ولكنها جمدت امام الموقف وتلقته في شجاعة وجلد .. ولم توهن من جمالها هذه الصدمات التى هوت على راسها .

وقال الاب مخاطبا لوبين :

— لقد اجاد ابنى اللعب الى الدرجة القصوى .. وسيكون لى في هذا نعم العزاء .

اما كاميلا فاكتفت بان ابدت ملحوظة تافهة .. قالت انه اجاد اللعب وقنعت بهذا .. !

وقال لوبين :

— لابد لى من الانصراف .. انى مرتبط بموعد هام .

وصافحه مستر جارلاند في حرارة . اما كاميلا فاحنت راسها في برود . ولم تحول عينيها عن نفر من الرجال كانوا يقفون على مقربة منهم وقد لفتت باهتمامها هذا النظر روجر الذى راح يتأمل هؤلاء الرجال في استغراب .

وقالت مس بلزيس :

— ان مستر جارلاند متلهف الى مشاهدة اللعب عن قرب . فها اندس بين الجمهور اذا شئت فان مستر روجر سيرافقنى .

واحنى روجر راسه مؤمنا .

واندس مستر جارلاند وسط الجماهير على حين اخذت كاميلا بذارع روجر وهى تقول :

— اريد أن أتحدث اليك يا مستر روجر . فاين يحلو الحديث ؟

— هنا .. حتى يمكننا أن نشاهد اللعب في الوقت ذاته ..

فهزت راسها وقالت :

— لا داعى لمشاهدة اللعب الان .. ان لدى حديثا هاما .. ولست أحب ان يسمعه احد سواك إبحث لنا عن خلوة هادئة .. أريد أن أتحدث اليك فى شأن صديقك مستر مارش .

قال روجر :

— ماذا لديك عن مارش .. ؟

وكفت عن السير واخذت تعبث بوردة فى يدها وقالت :

— هناك خطر يتهدد مستر مارش .. !

فقال روجر في نبرة تدل على الخوف :

— خطر يتهدد قرانك .. ! ما الذى اثار هذه الظنون في راسك يا مس بلزيس .. !

— انها ليست ظنونا .. اغلب ظنى انها حقائق ثابتة ! ولكن أرجوك أن تكتم عنه انى انا الذى افضيت اليك بذلك . !

— اعدك بذلك .. — شكرا ..

وسكتت هنيهة ثم قالت :

— خبرنى .. الم تلاحظ أن هناك رجلين كانا يقفان على مقربة منا حين التقينا . ؟

ورحبت كاميلا بهـذه النظرية وقالت ان هـذا
ما كانت تعنيه .. !

— طبعاً .. كان الامر مزاحا .. ومن الغـريب ال
الم تذكر هذا من قبل يا مسـتر روجر .. نعم . كان
سرقة القلادة مجرد مزاح . شبيه بحيلة الامس .. احدك
يفترض والثاني يدفع ! انى فى الواقع شاكرة لك ولمسـ
مارش ما فعلتما من اجل تيدى .. وهذا ما كنت اعنـ
حين قلت لك ان الناس يقولون ان مسـتر مارش رجـ
يعيش من ذكائه .

— انى لا اذكر انك قلت لى شيئا من هذا القبيل .

وقد تجاهل روجر الأمر حتى لايثير نقاشا جديدا .
وقالت الفتاة :

— كيف هذا . ؟ كنت اظنك اقوى ذاكرة من هـذا .
انسيت الحديث الذى دار بيننا فى قصر مستر جارلاند ؟.

— يجوز . ولكنى لا اظن أن استغلال الذكاء سيدفعه
الى سرقة القلادات حتى ولو أعادها ثانية .

فقالت كاميلا وهى تبتسم :

— وأى ضير فى هذا مادام الامر مزاحا .. ؟ انى موقنة
من أن مستر مارش لم يسرق قلادة مسز ليفى الا على سبيل
المزاح . وانها تكون نكبة أن يحل به الأذى بسبب مزحة عملية
لم يترتب عليها اى ضرر

ونم وجهها على الاسى . ولم يعد هناك خفاء فى ان
الفتاة شديدة الاهتمام بمصير لوبين وأنها تحب ان ينجو والا
يلحقه اى اذى

وقال روجر فى صراحة :

— كنت احسب انك لاتحبين صديقى فرانك . ؟

فقالت فى اقتضاب :

— ظنك خاطىء الآن .. من انبأك بانى لا احبه .. ان
ما فعله من أجل تيدى كفيل بأن يجعلنى أتعلق به .. وبالاسى
حين سمعت ان مستر جارلاند متورط فى الدين ، ادركنى
الأسف ولكنى موقنة من أن مستر مارش كان اشد منى اسفا
وانى لاعلم انه سيبذل المستحيل لانقاذه .. وقد تبينت من
حديثه انه ينوى ان يقدم هذا المرابى الى القضاء . وانها
لتكون نكبة أن يتمكن هذا المرابى من الاساءة الى مستر
مارش أو توجيه أية تهمة اليه .

ولاح من حديثها انها تفهم حقيقـة الموقف . كانت
تتظاهر بانها اقتنعت ان سرقة القلادة كانت مجرد مزاح ..
ولكن الواقع انها كانت مقتنعة بانها سرقة حقيقية لاريب
فيها .

وعاد روجر يقول :

— ولكن ما الـذى يدعو هذان الشرطيان الى تعقب
فرانك . ؟ أولى بهما ان يعتقلاه اذا كانت هناك تهمة معينة
موجهة اليه .

فقالت الفتاة :

— لست أدرى .. ولكن مهما يكن من الامر فارى انه
ينبغى أن يخطر بأن هناك من يتعقبه .

— حتى ولو كان لصاً . ؟

— حتى ولو كان لصا . بعدما فعل من اجل تيدى .

— أتريدين أن أنبهه الى الخطر المحدق به . ؟

— نعم ولكن لا تذكر له اسمى .

— ولنفرض انه هو الذى سرق قلادة مسز ليفى . ؟

فابتسمت كاميلا وقالت :

– اظننا اخذنا بهذا الفرض فعلا
– أعنى لنفرض ان الامر لم يكن مزاحا .
وكان روجر يتكلم فى لهجة الرجل الذى يريد
يمزح . !
وقالت الفتاة فى لهجة جدية :
– وبعد الموقف المشرف النبيل الذى وقفه بالامس
يجب أن نخطره ونحذره ..
فقال روجر في صوت خافت :
– اذن فستدافعين عنه ضل او اصاب . ؟
– نعم . ضل او اصاب . لا سيما وأنا احميه الآن
من وغد أثيم .
ثم أردفت على الفور :
– وليس معنى كلامي هذا انى اعتقد انه سرق
القلادة لغاية اثيمة ؟ .. كلا . انى لا أزل حسنة الرأى
فيه .
وفجاة قال روجر :
– اذا كان فرانك قد مضى الى داره مستقلا مركبة
فلا شك انه بلغها الآن . وفي وسعي أن اتصل به تليفونيا .
– وهل في الملعب تليفون ؟
– في المبنى . وهو خاص بالاعضاء فيما اعتقد .
– اذن أسرع الى اقرب تليفون وخاطبه .
– وانت ؟ ماذا يكون من أمرك ..
– ساعود الى الملعب لابحث عن مستر جارلاند . يجب
ان نحمي مستر مارش . ! لقد اتفق تيدى فليس من الشهامة
ان اتخلى عنه . اسرع . وشد روجر على يدها . ثم مضى
مسرعا .

الفصل الحادى عشر

في النادى وجد روجر في انتظاره رسالة كتبها لوبين .
وفي هذه الرسالة كاشفه لوبين بانه عرف أن هناك
من يتعقبه .. وقد شعر بذلك حتى قبل ذهابه الى الملعب
وقد روى في خطابه كيف استطاع أن يتخلص من مراقبيه
ويضللهم عن أثره فتركهم في حدائق برانجتون على حين مضى
الى داره مسرعا فغير ثيابه ثم غادر البيت سيرا على الاقدام
بعد ان أمر بصرف المركبة التى جاء فيها .
واختتم لوبين رسالته بقوله :
« ولكي اتخلص من مراقبة هذين الغبيين عولت على
ان اسافر الى الارياف لقضاء أيام فيها . ولكنى ساعود
ليلة الاثنين لارتباطى بذلك الموعد الهام الذى تعرفه ياروجر
وفى وسعك أن تقابلنى عند ساعة ميدان ونزلو فى تمام
الساعة الثانية عشرة . ويحسن أن تكون مرتديا حذاء
من المطاط »
واغتبط روجر بهذه الدعوة .. حذاء من المطاط .
ليلة الاثنين . هذى اذن هى المغامرة التى يترقبها . ! لقد
عول لوبين على ان يستصحبه معه في ذهابه الى دار ليفى . !
ومضى روجر مسرعا الى حدائق برانجتون . وهناك
رأى الشرطيين بروحان وبجيشان وامارات الارتباك ظاهرة
على وجهيهما كانما يبحثان عن لوبين . ! ولذ له أن يرقبهما
فترة غير قصيرة .
ثم ارتد الى الملعب وبحث طويلا عن مس بلزيس حتى
اذا اهتدى اليها انباها ان مستر مارش في أمان .. لقد
ضلل مطارديه وغادر المدينة حتى لا يقفا على أثره .
وفي مساء الاثنين خطر لروجر ان يجوس خلال المكان

ويتعرف الناحية قبـــل أن يحين موعد مقابلته للوبين في ميدان وتزلو .

سار روجر الى ميدان جراى .. هنا في هذا المكان يقع مكتب بارو المحامي وشركاه .. ولكن اى هذه الابواب هو المكتب المنشود .. ؟

واقترب روجر من احـــد الابواب وراح يقرأ اللوحة النحاسية المثبتة اليه . كلا . هذا وكيل أعمال . وهـــذا تاجر بالعمولة . وهذا . وسمع روجر وقع اقدام مسرعة تقترب .

وعول على ان يسأل اصحابها عن مكتب المحامي بارو .

وعبر الرجلان الافريز وهم روجر باللحاق بهمـــا . ولكنه جمد في مكانه فجأة . هذه القبعات اللينة المصنوعة من الفلين . ! آه . هذان هما الشرطيان . !

والتصق روجر بالجدار وحبس انفاسه .

وعلى قيد خطوات منه وقف الشرطيان يتبادلان الحديث . قال احدهما :

- واين هو ؟
- منهمك في العمل .
- ومتى دخل . ؟
- منذ ساعة .. وقد اوفدت اليك من يخطرك على الفـــور
- اى المنازل . ؟
- المنزل رقم ١٧ .. المنزل المجاور .
- ادخل عن طريق السطح . ؟
- لا ادرى ، فلم يدع وراءه اثرا نستدل منه .
- لا شك ان للسطح بابا متحركا . ؟
- نعم .

- والسلم الخشبي . ؟
- انه في مكانه المعتاد ، فمن المستحيل ان يكون قد استعمله والا فكيف اعاده الى موضعه الاصلي .

وهز الثاني كتفيه وقال :

- هذا عجيب .. ! لا استطيع ان اصدق ان مارش استطاع ان يتسلل الى مكتب المحامي .
- اما انا فواثق من الامر . وكذلك زميلي .

فقال القادم الجديد مزمجرا :

- وهل قضي علينا بأن نظل نحوم حـول المكان حتى يخرج .
- نعم . ولن يفلت منا . وسيخرج اما من البـاب العمومي المفضي الى الميدان ، واما عن طريق الحديقة . وقد انتشر زملائي في الحديقة وسنظل نحن في الميدان بالمرصاد . ومن رأيي ان نجلس على هذا الدرج فنستطيـع أن نرى بسهولة كل ما يجرى .

وسار الرجلان .

واستطاع روجر ان يتنفس بعد ان حبس انفاسه طويلا . هنا في هذا البيت .. في احدى هذه القاعات المظلمة صديقه ارسين لوبين يعمل ويقتحم الخزانة وحول الدار رجال الشرطة يترقبون خروجه لالقاء القبض عليه وهو غافل عن الخطر الذي يتهدده .

انه يجهل هذه المؤامرة الوضيعة التي نصبت للايقاع به . لقد افشي سره . وبقي هو الواشي بلا نزاع . !

والآن ما العمل ؟ ينبغي انقاذ لوبين من عواقب هـذه المغامرة .. ! ينبغي انذاره بالخطر الذي يتهدده .

وروجر هو الذي سينقذه .

طالما هزأ لوبين بروجر . طالما اعتبره كمية مهملة لا شأن لهـــا .

ولكن اليوم . اليوم يستطيع روجر ان يثبت وجوده وان يدلل على خطره . !

نعم . عليه أن ينقذ لوبين مهمــا تجشم من المتاعب والمصاعب . !

كان مستحيلا على روجر ان يقترب من باب المبنى الذي يقع فيه مكتب المحامي فلو انه فعل لرآه الشرطيان وهما في مرصدهما . انهما يعرفانه حق المعرفة . وسيقبضان عليه فورا .

اذن ما العمل ؟ .

ارتد روجر مسرعا الى ميدان كارى واستقل مركبة وقال للسائق :

ــ امض بى الى ميــدان جراى .. ان المنزل الذي اقصد اليه يبعد عن مكتب بارو بثلاثة منازل او اربعة . وقد نسيت رقمه .

سارت به المركبة فى ميدان جراى .. ومرت بمكتب المحامى ورأى روجر اللوحة النحاسية عند الباب .

وقفز الى نافذة المركبة ونقد الحوذى أجره .

واذ بلغت المركبة الباب بعد مكتب المحامى وثب منها روجر وصعد الدرج مسرعا .. ارتقاه وثبا .

ثم تريث مكانه برهة وارهف اذنيه للسمع .. هاقد سارت المركبة في طريقها ولم يعترضها الشرطيان .

واستمر روجر في صعوده حتى بلغ الطابق الاعلى . ودفع بابا صغيرا في المبنى ودخل الى ردهة فيها السلم المفضي الى السطح . وارتقى السلم حتى اذا بلغ نهايته دفع الباب وان هي الا لحظات حتى كان فوق السطح .

والآن كيف السبيل الى الوصول الى مكتب بارو ؟ . ان سطح المكتب يبعد عن هذا البيت ثلاثة منازل او لعلها

اربعة .. والبيوت ملتصقة فهل يستطيع يا ترى ان يتزلق فوق الاسطح حتى ينتهى الى الدار المنشودة . ؟

وراح روجر يسائل نفسه : ترى أهذه هى الطريقة التى اتبعها لوبين في دخوله .. ؟ من يدرى . ؟

ومضى روجر ينتقل من سطح الى سطح . ! وكان في خطر الانزلاق والتدهور الى الطريق ولكنه اخذ يتعلق بالبلاطات المنزوعة او برؤوس المداخن أو باعمدة التليفون .

خطوة بعد خطوة .. وخطر يعقبه خطر .. وهو ماض في خطته بلا تردد او تراجع .. يجب ان ينقـذ لوبين .. ! يجب ان ينقذه مهما استهدف للمهالك .

كيف هذا .. ؟ ايدع لوبين في عمله وهو يظن نفسه آمنا وهؤلاء الوحوش يترقبون اللحظة المناسبة للانقضاض عليه . ؟!

وبلغ روجر الى سطح احد المنازل .. ترى أهذا هو مقر المكتب ام لابد من الانتقال الى السطح المجاور .. ؟

لم يكن يدرى الحقيقة ..

وامسك بفوهة المدخنة وتعلق بها .. ولمست يده حبلا مشدودا اليها آه هذا هو حبل لوبين . ! انه يعرفه .. ! انه يميزه بهذه العقد . ! فليتبع الحبل اذن

وتعلق بالحبل .. وسار في اثره .. وانتهى الى باب في السطح ينفتح الى الاعلى .. وكان الباب مرفوعا . وفي الفجوة يتدلى الحبل .

وتعلق به روجر وهبط .

والفى نفسه في غرفة مظلمة . وراح يتحسس الجدران وهو مرهف اذنيه للسمع حتى انتهى الى البـاب .. وكان مواربا .

وسار روجر في دهليز مظلم .. وفي طريقه جعل يتحسس الابواب ويلمس مقابضها كلها موصدة .. ترى اين ذهب لوبين

.. ترى أين هو الآن . ؟ وفي اية غرفة من هذه الغرف العديدة
وفجاة لمست يده بابا مفتوحا . بابا مواربا .
وعرف أن لوبين موجود في هذه الغرفة . . !

الفصل الثانى عشر

كانت القاعة مظلمة ليس فيها الا قبس واحد من الضوء مصباح جيبى كهربائى موضـوع على المنضدة وعلى قيد خطوة منه يجلس لوبين منكبا فوق ورقة في يده وهو منهمك في الكتابة .

ولم يسمع لوبين وقع خطوات روجر وهو يدخل عليه كان منصرفا بذهنه الى العمل الخطير الذى بين يديه .

ووقف روجر لحظات مفتونا . ! هذا هو لوبين يعمل ومن ذا الذى لا تفتنه مشاهدة لوبين وهو منهمك في عمله . . انه مشهد يتمنى عشرات الالوف أن يروه . !

وقال روجر في نفسه :

— لو انني كنت شرطيا لاستطعت أن افاجئه . !

وقبل أن يدور هذا الخاطر في ذهنه تكلم لوبين قال دون أن يكف عن الكتابة :

— اهذا انت يا روجر . ؟

وفزع روجر كانما هو الذى فوجىء وقال :

— عجبا . ! اشعرت بى . ؟

— طبعا

— كنت اظن انك . .

فقال لوبين مقاطعا :

— شعرت بك وانت فوق السطح . قبـل أن تتدلى مستعينا بالحبل فاسرعت الى الغرفة التى تتدلى فيها الحبل

وحين رأيتـك وعرفت انك لست عدوا عدت الى مكانى وانهمكت في عملى .

فتنهد روجر وقال :

— كنت اظن انى فاجاتك . !

— لو استطعت أن تفاجئنى يا صاح لما كنت حقيقـا بان اسمى ارسين لوبين . ! ولكن ما الذى جاء بك . ؟

— انك في خطر . ! وقد جئت لاحذرك . .

— في خطر . . ولكنى مستهدف دائما للاخطـار . ! ولكن كيف استطعت أن تبلغ السطح . . ؟

— هذا حديث له وقت آخر . ! أتعرف الشرطيين اللذين يتعقبانك ؟

— نعم . ما شأنهما . ؟

— انهما ينتظرانك في الطـريق الآن ومعهمـا نفر من زملائهما .

وهز لوبين كتفيه بلا مبالاة وقال :

— فلينتظروا اذن . !

— ولكنهم من رجال الشرطة .

— حقا . . أهم من رجال الشرطة . ؟

— أيمكن ان يكونوا غير ذلك . ؟

— آه . . صحيح . . أيمكن أن يكونوا غير ذلك ؟!

وراح يكتب من جديد .

وقال روجر وقد اشتد خوفه :

— انك تبدى قلة اكتراث لا محل لها . انى اخشى أن تندم فيما بعد . ! لقد استطعت أن تفلت من مراقبتهم يوم الجمعة . ولكن من المؤكد انهم كانوا على علم بتواليك . فجاءوا يرقبون مكتب المحامى . . ان ليفى هو الذى وشى بك . . ولا ريب فى هذا . . وما حكاية الخطاب الا خدعة أراد بهـا

استدراجك حتى تسطو على المكتب فاذا ما حاولت مغادرته
ضبطت متلبسا .. دع الخطاب ولا تتمه . وهيا بنا .
وقال لوبين دون أن يرفع رأسه :

— لست أشاطرك هذا الرأى . وأنا رجل أعتقد أن
لا أتراجع .. انى أعرف أن رجال الشرطة مطبوعون على
الصبر فلينتظروا الآن حتى أفرغ من تزوير هذا الخطاب
وبعد تلك ساعة يبدأ الخطر الحقيقى . ولكننا سنكون فى
مأمن فى خلال العشر الدقائق التالية . ولن يزعجنا أحد ..
وتنهد روجر غضبا .. جشم نفسه هذه المشقات
واستهدف للأخطار وجاء لكى يحذر لوبين . ومع ذلك لم
يسمع منه كلمة شكر واحدة .. ! وها هو قد ضرب بتحذيره
عرض الحائط .

وهم روجر بأن يصيح به :

— لقد أخطأت فى حضورى . ! ما كان ينبغى أن أحذرك
كان يجب أن أدعك تقع فى أيدى البوليس .
ولكنه رد نفسه عن النطق بهذه الكلمات وخرج الى
المشى وقد غليت الدماء فى عروقه . !
بالجحود . ! الا يسمعه حتى كلمة شكر واحدة . . !
وفجأة شعر روجر بيد تلمس كتفه .
وكاد يصرخ .. لقد فاجأه الشرطة . ! وهتف فى صوت
مختنق :

— فرائك . !
وضحك لوبين وقال :
— ماذا دهاك . ! انى أنا الذى لمست ذراعك . !
تنفس روجر الصعداء وقال :
— حسبتك شرطيا . !

— وأنا حسبتك قد شعرت بى عند قدومى . ! كما
شعرت أنا بك . !
وكانت فى صوته نبرة تهكم غير خافية .
وقال روجر :
— هل انتهيت من تزوير الخطاب ؟
— نعم
— أسرع ورده الى مكانه من الخزانة وأغلقها كما كانت .
— لقد فعلت هذا .. انتزعت الخطاب الاصلى ووضعت
الخطاب المزور مكانه وعقدته بشريط وختمته بالشمع الاحمر
كما كان . لن يفطن أحد الى ما حدث من ابدال .
— ولكنى لم أسمع لك صوتا وأنت توصد الخزانة .. !
— وهل تنتظر أن يصدر صوت من لوبين .. ؟ والآن
هيا بنا .
وسار الرجلان صوب الغرفة المتصلة بالسطح .
ووثبت قطة من الظلام وجاءت تتمسح بلوبين . وقال
روجر فى استغراب :
— الكما صديقان فيما أرى .. !
— طبعا .. لقد توثقت بيننا عرى المودة يوم الجمعة .
— يوم الجمعة . ! ؟ أتريد أن تقول انك حضرت الى
هذا المكتب يوم الجمعة .. ؟
— طبعا .. وتعرفت بالمحامى .. وصرت عميلا
له وستسمع عن هذا فيما بعد وقد تعرفت بالقطة أيضا .
ثم ابتسم وقال :
— وتعرفت بالحارس .. !
— الحارس .. ! لقد ذكرتنى به وقد كدت أنساه .. !
وأين هو الآن .. !
— فى المسرح .. وأنا الذى قدمت اليه التذاكر .. لقد

حضرت بعد ظهر اليوم الى المكتب وجلست أتحدث برهة الى الحارس فتطرق الحديث الى المسارح فقال انه لم يذهب الى المسرح الا مرة واحدة في حياته . فقدمت اليه تذكرتين له ولزوجته — فهم بالاعتذار عن قبولهما ولكني اقسمت له أن صديقا ارسلهما الى هدية واني لست في حاجة اليهما .. وهو الآن في المسرح .. ! وكان في المسرح بعبارة اخرى الى اللحظة التي اسدل فيها الستار .. !

— وهل انتهت الرواية ؟

— منذ عشر دقائق ولا يمكن ان يكونا قد وصلا الى العمارة الا اذا كانا قد استقلا مركبة .

— اسرع بالله عليك ، اسرع .. !

— اصعد انت اولا

وتسلق روجر الحبل الى السطح وفي اثره لوبين .

وفي تلك اللحظة سمع روجر اصواتا افزعته .. لم تكن اصوات مفتاح يدور في قفل الباب وانما كانت وقع اقدام تقترب .. اقدام على السطح .. !

وهمس روجر :

— لقد تعقبونا الى السطح .. ! انهم في القسم الثاني .. اني اسمع اصواتهم

ودون أن ينطق لوبين بكلمة واحدة اشار الى روجر بان يتبعه .. وهمس في اذنه :

— تجلد ولا تفزع .. والا افسدت الامور

واقتربا من الجدار الذي يفصل القسمين ، وبدت الاصوات اشد وضوحا .

وتبين روجر من أصواتهم انهم أولئك الذين كانوا يتحادثون في الطريق وقد سمعهم قبل ان يتسلل الى العمارة قال الرجل الذي كان قد وصل الى المكان بعد زميليه :

— لقد تصرفنا تصرفات تنطوي على الحماقة .

وقال الثاني :

— كان ينبغي ان نظل في مكاننا لا نبرحه حتى يخرج النبـــا .

— لولا قدوم زميله لبقينا حيث كنا .. الم تر كيف وثب من المركبة ودخل الدار مسرعا . ؟ اغلب ظني انه ينوي ان يحطره باننا نراقبه . فلم يكن ثمة مجال للانتظار .

ولمس لوبين ذراع روجر كانما يقول له : انظر .. ماذا جلبت على بتصرفك .. جاء لكي ينقذه ويحذره فاوقعه في ورطة جديدة

وهتف احد الرجال الثلاثة :

— لقد اهتدينا اليهم . ! هذا هو الحبل .. والبـــاب المفتــوح .. فلنقبض عليهم .

— نقبض عليهم .. أنسيت ان مهمتنا تتطلب منا شيئا آخـــر ؟

— طبعا .. ولكن لابد من اقتناصه أولا .. وما يدريك ان زميله انذره بوجودنا . ! ان الانتظار عبث في هذه الحالة لابد من ان نفاجئه .

— والظلام الذي يسود المكان . ! في هذا الظلام سيتمكن من الافلات .

— ما هذا التشاؤم . ! تخل انت عن العمل ودعنا نعمل وحدنا . ! اني اوثر ان أعمـــل بمفردي على ان اشرك معي جبانا لا هم له الا تثبيط العزائم .. هيا .. اهبط انت اولا .

وكان لوبين وصاحبه متواريين خلف احدى المداخن .

وبرز لوبين من مخبئه .. وفي مشية القطط اقترب من الباب الارضي .. وكان الرجال قد تدلوا الى داخل الغرفة مستعينين بالحبل . وكان احدهم منحنيا فوق البـاب يهم بالنزول .

ودنا منه لوبين .. ورفع ساقه .. ودفعه في ظهره دفعة قوية القت به الى داخل الغرفة فسقط فوق زميله .

وتعالت اللعنات وكلمات السباب .

وفي اللحظة التالية كان لوبين قد جذب الحبل واغلق البـــاب .

واخذ لوبين بيد روجر وقال :

ــ هيا بنا .

وسارا على اسطح البيوت ينتقلان من سطح الى سطح متعلقين بنتوء الجدران أو بفوهات المداخن .

وفي هذه اللحظة دوت صفارة البوليس وشقت السكون السائد .

وهتف روجر في جزع :

ــ البوليس . ! فلنشرع بالهرب .

فابتسم لوبين وقال :

ــ لا داعي للاسراع .

ــ ولكن البوليس . !

ــ انه ليس في اثرنا .

ــ اذن .

ــ لقد شعر حارس المكتب بزملائنا عند هبوطهم الى الغرفة .

ــ فظنهم لصوصا . ؟

ــ فسر الامر كما تشاء .. لا سبيل لنا الى النجاة الا ببلوغ السطح الاخير والنزول الى الميدان .

وبلغا البيت الاخير .

واخرج لوبين مصباحه الكهربائي وادواره فيما حوله وهو يستر الضوء بيده .. هذا هو الباب .. ورفع البـــاب وادلى الحبل . وفي اللحظة التالية كان قد رفع الحبل ثانية .

فتح باب في الغرفة وظهر على عتبته رجل .

ولم يكن خفيا ان الرجل قد جمد مكانه مرهفا السمع .

ومرت لحظات .. وانطلق الرجل يجرى بملء سرعته .

وهمس لوبين :

ــ افعل كما افعل .. ! واسرع .

وادلى الحبل .. وان هي الا لحظات حتى كان الرجلان على رأس الدرج وقد شرعا في الهبوط على حين كان صاحب الدار في منتصف السلم ينحدر الى الاسفل باقصى سرعته .

وفتح صاحب الدار الباب وانطلق الى الطريق وهو يشير بيديه ويصرخ بملء صوته مناديا الجمع الذى كان قد احتشد امام مكتب المحامى . وقبل أن ينتبه اليه احد كان لوبين وروجر قد اندفعا من الدار .. صوب الناحية الاخرى

وما كادا ينعطفان الى الطريق المحاذى حتى لمحهمـــا القوم فانطلقوا في اثرهم .

ووثب اوبين الى احدى المركبات الواقفة بالميدان وهتف بالحوذى :

ــ ميدان الملك من فضلك .

وبعد ان سارت المركبة دقائق قليلة صاح بالحوذى :

ــ آسف .. اردت ان اقول ميدان وترلو

ثم مال الى روجر :

ــ بهـــذا سنضلهم عن اثرنا .. ومن ميـــدان وترلو سنمضي فورا الى دار ليفى .. ومن اجل هذا طلبت اليـــك ان تنتظرني في منتصف الليل تحت ساعة وترلو .

ــ ولكن ما الداعى الى حذاء المطاط . ؟

ــ له منفعة .. وسترى . !

وقال روجر في لهجة عتاب :

ــ كنت لاحس انك ستشركني معك في السطو على مكتب المحامي ؟ .

وضحك لوبين وقال :
— انك ترهق نفســــك بالتفكير ياعزيزي روجر ..
ولنضرب لذلك مثلا اهتمامك بأمري وقدومك في جــوف
الليل لتحذيري . واستهدافك للأخطار الجسيمة . ولكنك
جشمت نفسك مشقة لا داعي لها .
فصاح روجر :
— مشقة لا داعي لها . ! كيف . ؟ أكنت تريد منى ان
لا انذرك بوجود هؤلاء الحمقى في انتظارك ؟
— نعم . فقد كنت اعرف انهم يترقبونني .. ! وقـد
تعمدت ان أجعل احدهم يراني .. وقد رأيته وهو مسرع الى
زملائه ليستدعيهم ..
وفي ذهول حملق روجر في صاحبه وقال :
— ليت شعري الى آية غاية ترمى بهذه الاساليب . ؟
— ارمي الى اغرائهم بمراقبة الباب العمومي بينما افر
من الطريق الذى سلكناه .. فلولا حضورك لما خطر لهم ان
يزايلوا اماكن المراقبة
وغض روجر من بصره وقال :
— وما يدريك انهم كانوا ينوون هـــذا على اية حال
سواء حضرت انا أم لم احضر ؟
— كلا .. كان احدهم معارضا في الدخول كما سمعت ..
فليس اقتحام البيوت من شأنهم ..
— كيف تزعم هذا واعتقال المجرم متلبســـا من اهم
الواجبات ؟
— كانت مهمتهم قاصرة على انتزاع الخطاب منى مجرد
خروجي من مكتب المحامي
وتركك حرا .. دون ان يسوقوك الى السجن ؟
— نعم دون ان يسوقنى الى السجن .. !

— ومن الذى أصدر اليهم هذه التعليمات العجيبة . ؟
مدير اسكوتلانديارد . ؟
— كلا .. ليفي هو الذى اصدر اليهم هذه التعليمات .
— ليفي .. !
فضحك لوبين وقال :
— الم يخطر لك ببال ان هؤلاء المراقبين هم رجال ليفي
— رجال ليفي . !
— لقد اطلقهم في اثرى لمراقبتى منذ اللحظة التى تم
الاتفاق فيها بيننا على السطو على مكتب المحامي .. لقــد
امرهم بالاستيلاء على الخطاب وتركى حرا طليقا .
— وكيف عرفت هذا .. ؟
تنهد لوبين وقال :
— ليت شعرى كيف تتصور انى امضيت عطلة الاسبوع
حين ذكرت لك انى مسافر الى الارياف . ! احسبتنى كنت
نائما . ! لقد تنكرت وجعلت اراقب ليفي لأتبين مراقبـــه
وغاياته .. ولقد استأجرت قاربا وتنكرت في زى البحارة
وامضيت الشطر الاكبر من وقتى اطوف النهر . وفي يــوم
الجمعة جاء احد هؤلاء الرجال لمقابلة ليفي وكان جالسا في
الحديقة المشرفة على النهر وانا رابض بقاربى خلف الشجيرات
وقد سمعته ينبئه باننى افلت من مراقبتهم . وقد امــره
ليفي بمراقبة المكتب وراح يكرر تعليماته السابقة .. اذا
رأيتموه يخرج من المكتب فانقضوا عليه وانتزعوا منه الخطاب
ثم اطلقوا سراحه .
وهز روجر راسه وقال في استغراب :
— يدهشنى ان يتلقى رجال اسكوتلانديارد مثل هذه
التعليمات :
— اسكوتلانديارد . ! ماذا دهاك يا عزيزى روجر . ؟

أين ذكاؤك المتوقد ... ! انهم ليسوا من رجال البوليس .. ! انهم جماعة المرتزقة استأجرهم ليفي .. !

وقال روجر :

— ولكن ..

— فقاطعه لوبين بقوله :

— ها قد بلغنا المحطة .. لم يبق على قيام القطار الا دقيقة واحدة فلنسرع ..

وبعد لحظات كان القطار ينهب بهم الارض صوب الضواحي حيث يقع بيت ليفي .

الفصل الثالث عشر

غرق روجر في خواطره والقطار ينهب به الارض .. يالله .. ! لشد ما كان مخطئا .. اذن فهؤلاء الرجال ليسوا من الشرطة .. ! انهم من مأجوري ليفي . ! استأجرهم لانتزاع الخطاب من لوبين .. ! وكان لوبين على علم بحركاتهم وسكناتهم . !

وليفي .. هذا الرجل الناعم الصوت الحلو الحديث .. اذن فما كان مخلصا في الصفقة التي عقدها . دفع لوبين الى الاستيلاء على الخطاب ثم حاول ان يأخذه منه قسرا حتى لا ينزل له عن الدين .. ولكنه لقي في لوبين الخصم العنيد الذي لا يقهر . لقي فيه الرجل الذي عرف كيف يتخلص من اعوانه ويحبط خطته . !

وانتهى بهما القطار الى المحطة المنشودة . وسارا في طريق تحفه الاشجار على الجانبين :

وأومأ لوبين الى حديقة يقوم فيها منزلان وقال :

— هذى هي دار ليفي .

وفي غير تردد سار الى الحديقة وفي اثره روجر ودفع البوابة

وفجاة رأى شبحا يهم بأن يتوارى في الظلام مستترا بين الاشجار ..

وفي صوت صارم . صوت صاحب الدار الذي له الحق الاول .. صاح لوبين :

— ماذا تفعل هنا يارجل . ؟

وارتعد الرجل . ولم يستطع ان يتوارى . خرج من مخبئه . وكان في ثوب خلق زرى وقبعته مرخية على جبينه وقـــال :

— لا شيء . لقد قابلت مستر ليفي لعمل ما

فصاح به لوبين :

— اذن فلماذا تتوارى بين الاشجار ؟ .. أسرع بالخروج اذن مادمت قد فرغت من العمل الذي كان بينك وبينه .

وانطلق الرجل يجري صوب البوابة .

وقال لوبين :

— أتعرفه ؟

— نعم . أليس هو سكرتير ليفي . ؟

— نعم . ذلك الشاب المسكين الذي طرده ليفي من مكتبه وانهال عليه ضربا قبل أن يوصد علينا الباب . اني أخشى ان يكون قد ثار لنفسه بقتل ليفي . الم تر الي جبينه كيف كان يبدو منتفخا . ؟

— ترى هل عرفنا . ؟

— لا أظن ذلك . فقد غيرت من صوتي وحرصت على ان لا اجعله يرى وجهي .

اقترب الرجلان من باب الدار .

وفجاة فتح الباب وظهر على عتبته ليفي . كان يترقب قدوم اعوانه فلما سمع وقع خطوات لوبين وصاحبه ظن انهم جاءوا .

وراح ليفي يحدق في الظلام وقال :

– أهذا أنتم يا أولاد ؟ ..

وانتقل لوبين الى حيث يسقط الضوء على وجهه وقال :

– اي الاولاد تقصـــد . ؟ ان الاولاد كثيرون الليلة في هذه الانحاء . !

وتراخت ذراعاه الى جانبيه اذ عرف في الصوت غريمـــه اللدود .

وغمغم في لهجة المأخوذ المذهول :

– مارش . !

ثم تماسك وعاوده شيء من الرجاء فقال :

– وهل جئت وحدك . ؟

وراح يحدق في الظلام من جديد .

– لقد جئت معى بصديقى دوجر .

– اذن ماذا تعني بقولك أن الاولاد كثيرون في هـــذه الانحاء . ؟

– كنت افكر في السيد الذي كان هنا قبيل حضورنا .

– قبيل حضوركم .. ! انى لم أر احدا .

– ولكننا رأيناه في الحديقة .. وجه نحيف .. ورأس أصلع .. ومعطف شبيه بمعاطف المتآمرين .. وكان جيبه منتفخا .. ففيه رزمة من الاوراق المالية او .. أو مسدس

وصاح ليفي :

– هذا النذل . ! هذا الوغد . ! جاء يتعقبني . ؟ انه سكرتيري وقد طردته . ! ولقد هددني اللعين بخطاب ويرقبة ليتني رأيته . ! اذن لعرفت كيف القى عليه درسا . ! انى أعرف كيف الزمه حده . !

واخرج مسدسا من جيبه الخلفي وشهره وهو لا يزال

يلقى بكلمات الوعيد . ولكن لوبين اكد له أن غريمه قد انصرف هاربا .

وهم ان يعيد المسدس الى جيبه .. ولكنه رد يده وظل المسدس فيها .

وسار ليفي أمام زائريه الى قاعة الاستقبال . وفي ركن فيها مائدة الشراب . ومضى دوجر اليها فملأ لنفسه كأســـا .

وقال ليفي :

– اذن فقد جاء هذا الشيطان يتعقبني . . ! والله لو انى رأيته لما ترددت في اطلاق النار عليه عند أول حركة تصدر منه . ! انى رجل لا يؤخذ بسهولة ، لقد حاول عدو لى اغتيالى مرة ولكنه فر هاربا اذ رأى مسدسي . ! وانى على استعداد لان اطلق النار على من يحاول ان يعترض طريقي . والآن . ؟ ماذا فعلت يامستر مارش . ؟

ولوح بمسدسه .

– فعلت . ؟

– اعني .. هل استطعت ان تسرق الخطاب . ؟

وضاقت عيناه وتألقتا .. وكان جليا انه أفرط في تلك الليلة فقد هوت الزجاجة حتى نصفها . ولا عجب فقد كان مهدم الاعصاب شديد اللهفة يترقب قدوم اعوانه فوجد في الخمور سلوى تهدىء من ثورته .

ولما رأى لوبين يلوذ بالصمت عاد يقول :

– هل نجحت . ؟

وابتسم لوبين في صوت هادىء قال :

– بالنسبة للمحاولة الاولى يمكن ان اقول انى نجحت .

– حقا . ! كنت اخشى ان تخفق وانت لا تزال من المبتدئين .

— ولكن الخزانة كانت من طراز يسهل اغتصابه

— يسهل اغتصابه . ؟

— نعم .. وكانت « العملية » كلها هينة وكانت خالية من المفاجآت والمثيرات ولم يعترض طريقي احد .

— والحارس . ؟

وكانت في صوت المرابي نبرة تدل على الفضول .

— اسداني منه بان ذهب مع زوجته الى المسرح

— على حسابك . ؟

— بل على حسابك انت يا مستر ليفي . فساطالبك بثمن التذاكر .

— اذن فقد استطعت أن تتسلل الى الدار دون اية مشقة .. ؟

— نعم . ولكني دخلت عن طريق السطح .

— وبعد ذلك . ؟

— انتهيت الى الغرفة المنشودة .

— وبعد ذلك يا مارش . ؟

— فتحت الخزانة المقصودة .

— استمر يا رجل . ! تكلم . !

ولكن الرجل لم يكن متعجلا الحديث . ! كان يلقي بالكلمات في تؤدة وعلى مهل حتى يستثير فضول ليفي ، وقد نجح هذا .

وقال :

— وقد وجدت الخطاب ، نعم . كتبت صورة منه صورة مزورة . !

— اكانت متقنة التزوير . ؟

— نعم .. حتى لكانها الخطاب الاصلي .

— حسنا . وهل تركت الصورة مكان الخطاب الاصلي . ؟

— طبعا

— وما الذي حدث بعد ذلك ؟ ما الذي حدث ؟

لم يكن هناك خفاء بعد هذا في ان ليفي هو سيد هؤلاء المأجورين هو الذي دفعهم الى مراقبة لوبين .. والدليل على ذلك — ان كان الامر في حاجة الى دليل — ظاهر في تلهفه الى معرفة « ما حدث بعد ذلك . »

وفي غير اكتراث قال لوبين :

— وجدت بعد ذلك ان هبط على روجر فجاة هبوط الصاعقة .

— الم تستصحبه معك . ؟

— كلا . لقد لحق بي ينذرني بان نفرا من البوليس السري يرقبون البيت لاعتقالي .

وقال ليفي في صوت لم تخل نبراته من الحنق المكتوم :

— هذا فضل منه . انه يستحق أن يشكر .

ورمى روجر بنظرة يتطاير منها الشرر .

— فضل ! لقد كان له فضل انقاذي . !

— اذن فقد انقذك .. ! انقذك .. !

— طبعا .. ! لقد خدعت برجال الشرطة وغادرت البيت من طريق آخر .. ! وكان اصدقائي يترقبون خروجي دون أن يجرى لهم ببال اني خرجت .

— اذن فقد تركتهم هناك .. ؟

— نعم .. تحيط بهم هالة من المجد .. !

وامتقع وجه ليفي .. ! اذن فقد افلح لوبين في الفرار من رجاله .

وتماسك المرابي وقال :
ــ واظنك قد جئت ومعك خطابي .. ؟
فهز لوبين راسه نفيا وقال :
ــ كلا
فصاح ليفي في غضب :
ــ كلا .. ! هذا ما ظننت .. !
فقال لوبين مسترسلا :
ــ لقد اخطأت التعبير يا مستر ليفي .. ! كيف يمكن ان اجيء ومعي خطابك وانت تؤكد لي انك لم تكتب الخطاب ..وانه مزور .. لقد جئت ومعي الخطاب الذي زور عليك .. !
فهتف المرابي :
ــ امعك الخطاب الان .. ؟
ــ في جيبي
ــ دعني اذن القي نظرة عليه .. !
وكانت في صوته نبرة صارمة .
وقال لوبين :
ــ بكل ارتياح . لك ان تنظر اليه كيف شئت ؟
ــ دون ان امسه فيما اظن .. ؟
ــ طبعا دون ان تمسه .. وفي الوقت ذاته لي الحق بان اطالبك بان القى انا ايضا على المخالصة وعقد شطب الرهنية ، فلا شك انك اعددتهما تنفيذا للصفقة التى عقدناها .
وكان لوبين يلقي هذه الكلمات في صوت هادىء في حزم ..
وادرك المرابي انه ينبغى ان تتم الصفقة بحذافيرها .
وابرز لوبين الخطاب وقال :

ــ هذا هو الخطاب فاين الوثائق .. ؟
وبان الانفعال على وجه ليفي .. اهكذا تنهدم آماله .. اهكذا ينهار كل ما كان يرجو .. ! اخفق رجاله في الاستيلاء على الخطاب ..
وتقبضت اصابعه في حركة تشنجية .
ووثب الى زجاجة الخمر وملأ كأسه بالويسكى الخالص دون ان يخففه بالصودا ، وجرع جرعة كبيرة . ثم وثب الى ناحية لوبين .
كانت الكأس في يد والمسدس في يد .
وشهر مسدسه في وجه لوبين وصاح يقول :
ــ والآن دعني ارى الخطاب . ! دعني اراه والمسه .. ! الا اذا كنت تبغى ان افرغ رصاص مسدسي في صدره .
وادار فيه لوبين نظرة فاحصة . وفي تؤدة قال :
ــ ما كنت اظن يا مستر ليفي ان الحماقة يمكن ان تبلغ منك هذه الدرجة حتى ولو كنت سكران .
ونظر الى المسدس .. وتأهب لاتخاذ الخطوة الحاسمة .
وفجأة طوح ليفي بيده اليمنى بالكأس . !
وتدفق الويسكي على وجه لوبين وتهشم الزجاج واصابته الشظايا بجروح .
ورفع لوبين يده الى وجهه في حركة غريزية وقد اغمض عينيه .
وفي نفس اللحظة مد ليفي يده واختطف الخطاب .
وتحول الى المدفأة والقى بالخطاب في النيران المتأججة .
كان لوبين لا يزال مغمضا عينيه والدماء تنزف من

جراح وجهه .. وكان ليفي موليا ظهره الى ناحية روجر
يتأمل الخطاب وهو يحترق .

واغتنم روجر هذه الفرصة .. اثاره مرأى الدماء التى نزفت من وجه لوبين . فما كان منه الا ان انقض على ليفي كالوحش ودفعه الى الارض

هوى ليفي على الارض . واصطدم بها راسه صدمة عنيفة . ثم جمد مكانه . ! لا يتحرك ..

وراح روجر ينظر اليه وقد استولى عليه الفزع .

كان متمددا على الارض .. بلا حراك كالجثة الهامدة . !

واتسعت حدقتا روجر . ! ماذا فعل . ! واية جريمة ارتكب . ! ترى هل مات .. ! هل .. !

الفصل الرابع عشر

فتح لوبين عينيه ونظر من خلال اصابعه الملوثة بالدم وغمغم : - الخطاب يا روجر . ! الخطاب ! .

واستفاق روجر من ذهوله .. نعم .. الخطاب . كان ينبغي ان ينتشله من النار .

وارسل بصره الى المدفأة وقال :

- لقد احترق . !

فقال لوبين :

- وكاد يعميني . ! فاجأني دون ان اتوقع . !

وفي صوت مختنق قال روجر :

- انظر اليه لي اني هشمت جمجمته . ! انه لايتحرك .

ومسح لوبين وجهه بمنديله ومال فوق المرا... واستمع الى دقات قلبه وجس نبضه .

ثم رفع راسه وقال :

- اطمئن يا روجر . انه لن يموت . ! والان دع الامر لي . - وماذا ينبغي أن افعل . ؟

- امض الى المرسى وانتظرني في القارب .

- واين المرسى . ؟

- في نهاية المرج .. الى الناحية اليسرى . وستجد امامك بابا مغلقا فافتحه . وناوله أداة لتهشيم القفل - وبعد ذلك ؟

- ستجد امامك سلما يفضي الى الماء . وعلى راس السلم رافعة ادرها يهبط القارب الى الماء . ولكن ادر الرافعة في حذر حتى لا يصدر منها صوت ينبه اهل الدار . ثم اجلس في القارب وانتظرني .

سار روجر الى المرسى في خطوات مضطربة . وكان مشتت الفكر تتراءى له صورة ليفي وهو ممدد على الارض بلا حراك .. ! ترى هل قتله . ! يا لها من جريمة شنيعة .. ! لو انه قتله اثناء نضال او دفاع عن النفس لهان الامر .

ولكنه قتله على طريقة الجبناء الانذال .. كان ليفي موليا ظهره اليه فانقض عليه من الخلف . ! يالها من جريمة يزيد في بشاعتها انه ارتكبها غدرا .. من وراء الظهور .

وادار روجر الرافعة . واستقر القارب على سطح الماء .. وهبط روجر اليه وجلس .

جلس يفكر في الجريمة التى اقترفها .. في ذلك الوجه الشاحب وتلك الجثة التى بلا حراك .. كانت الصدمة قاتلة .

وانتبه روجر من استغراقه اذ لمح لوبين يغادر البيت

.. وكان مرتديا معطفا .. اهذا معطف ليفي يا ترى . وكانت جيوبه منتفخة .

واشار لوبين الى روجر فخف هذا اليه .

وفي الغرفة راى ليفى لا يزال ممددا على الارض مع فرق واحد هو ان لوبين وضع وسادة تحت راسه .

وقال لوبين : ـ هيـــا نتعاون على نقله يا روجر . امسك انت بقدميه .

وارتعد روجر واصفر وجهه .

ـ قدميه . ؟ ولماذا .. !

ـ سنمضي به الى القارب

ـ ولكنه لا يزال .. لا يزال ..

ـ حيا . ؟ آه . ! انه لم يمت يا رجر .. فمن الحما اذن ان ندعه وراءنا . حيا والا انصرم الليل .. تقدم . ماذا . ؟ اتريد ان اجره وحدي . ! هيا امسك بقدميه .

وفي جمود مال روجر فوق الرجل وامسك بقدميه على حين رفع لوبين راسه .

سار الرجلان الى القارب يحملان بينهمـــــا المر فوضعاه في القارب وقبيل ان يشرعا في التجديف لمحا قار صغيرا ينزلق فوق سطح الماء .

ـ ليت شعري من هـــذا . ؟ وما الذي يحمله ع الخروج في قارب في جوف الليل . ؟

واذ ابتعد القارب الصغير شرع لوبين وصـــاحبه التجديف :

ولم يوغلا في النهر . وما ابتعدا عن بيت ليفي الا م متر او مائتين ثم عرج لوبين بالقارب الى بيت بدت ابرا شاهقة في الجو .. وكانت نوافذه مظلمة .

والى المرسي شد لوبين القارب .

وقال روجر : ـ ما هذا . ؟

ـ انه بيت خال يا روجر

ـ اتنوى ان تصعد اليه . ؟

ـ بل انوى ان احمل اليه ليفي .. حيا او ميتا .

ـ وحملاه من جديد وعبرا المرج حتى اذا بلغا البرج وضعاه على الارض عند اسفل السلم وارتقى لوبين الدرج مسرعا ليفتح باب البرج ثم صعدا به اليه .

وقال لوبين :

ـ يعجبني من سلم البرج انه كتوم لا يرســـــل صوتا . كصاحبنا مستر شيلوك

وسرت الرعدة في بدن روجر . ! دائما . ! ليفى . ! وقال :

ـ الا يحسن بك ان تخفض من صوتك . ؟ الا تخشى ان يسمعنا احد ؟

ـ ليس في البرج سوانا فكن مطمئنا . هاك سيجارة دخنها لتهدىء من ثورة اعصابك .

واشعل روجر انفـــه سيجارة ونفث من فمه حلقة كبيرة من الدخان . ثم قال :

والآن خبرني : هل تحرك ليفى حقا . ؟

ـ بمجرد ان اوليته ظهرك عند ذهابك الى المرسي . لقد اصطدم راسه بالارض فاصيب بغيبوبة . ولكنها كانت غيبوبة قصيرة المدى افاق منها بعد دقائق قليلة .

فقال روجر وفي صوته نبرة من الاستغراب :

ـ اذن فما الذى اوقعه في هذه الغيبوبة الجديدة .. ؟

ـ انا

ـ بنفس الطريقة . ؟ هل ضربت راسه بالارض . ؟

ـ كلا يا روجر . لقد طلب ان يشرب فسقيته .

فهمس روجر متسائلا :

ـ ماذا سقيته .. ؟ خمرا مخدرا . ؟

ـ لك ان تقول ذلك . ولقد كان في نيتي من قبل ان اسقيه مخدرا . ولقد انبني ضميري ولكن تهجمه هذا واختطافه الخطاب خففا من تبكيت الضمير . ان صاحبنا مستر شيلوك رجل عنيد وقد اهاجت الخمر اعصابه وردته شبه مجنون فتصرف تصرف الحمقى

على انى الرجو اذا ما استفاق أن يكون صوابه قد ارتد اليه

ـ وهبه كان لا يزال ثائرا فماذا تنوى أن تصنع به ؟ ارتد ان تستبقيه في البرج . ؟

ـ نعم . سأسجنه في البرج حتى يفتدى نفسه .. لن اطلق سراحه الا اذا دفع الفدية .

فقال روجر في لهجة المأخوذ :

ـ اتعنى انك لن تطلقه الا اذا بر بوعده وأتم الصفقة التى اتفقنا عليها ؟

وكان يرجو أن يكون هذا هو المعنى الذى رمى اليه لوبين .

وهز لوبين رأسه وقال :

ـ وسنعقد صفقة اخرى . ! اتظن انى ارضى ان اكتفى بالصفقة الاولى بعد أن خدعنى وحاول أن يغدر بى . ! لابد أن ارغمه على أن يعوضنى عن غدره . لقد كنت اتوقع منه هذا الغدر فانى اعرف انه رجل لا يؤتمن فاتخذت العدة لذلك . انظر .

واخرج لوبين من جيبه قيدا من الحديد . وكمية من اقراص منومة معروفة باسم « سومول » .

وقال روجر متسائلا :

ـ ازرت هذا البرج من قبل . ؟

ـ لك الله يا روجر .. ما هذه الاسئلة السخيفة التى لا معنى لها ؟ طبعا زرت البرج والبيت المتصل به .. ؟ اتحسبنى اقدم على اعمالى عفوا لساعة بلا تدبر سابق . ؟ لقد صرح لى مكتب السماسرة بالتفرج على البيت وقد رشوت الحارس حتى لا يسمح لاحد بمشاهدته الا بعد اسبوع بحجة أنى قد اشتريت البيت وأنى سأتروى في الامر في خلال هذا الاسبوع والحارس يقيم في السلاملك الصغير المطل على الطريق العمومى . وهو لا يطأ عتبة القصر او البرج الا اذا كان في رفقته من يجب ان يشاهد المكان فكن مطمئنا الى اننا سنكون بمنجاة من الفضوليين بضعة ايام .

وقال لوبين مسترسلا :

ـ لقد خطر لى أن اختطف ليفى حين تبينت تمرده وسوء طويته . ولولا ذلك لما فكرت في هذا الامر . ولست اشك في أن هذا الرأى قد طاب لك يا روجر فهذه اول مرة يقدم فيها أرسين لوبين على اختطاف ضحاياه ـ فيما عدا اختطاف شرلوك هولمز طبعـــا ـ وليفى لرى عظيم يستحق أن يختطف .

وتنهد روجر وقال :

الحق انى لا أريد أن أكتمك ان هـــذه الفكرة لم ترق في نظرى . ! ان اختطاف ليفى سيقيم الدنيا ويقعدها ويطلق في اثرنا جميع رجال الشرطة

ـ اذا عرفوا انه اختطف ـ وسيعرفون

ـ هذا بعيد الاحتمـــال .. ان لليفى يا عزيزى روجر مكاتب واعمالا اخرى في مدن مختلفة . وقد اعتاد أن يسافر فجأة الى هذه المكاتب دون أن يخطر احدا بمكانه . فلن يظن

أحد انه اختطف وانما سيقع في روع الناس انه قام باحدى هـــذه الرحلات الخفية .. الم تفطن الى انني ارتديت معطفه . ؟ لقد تعمدت ان افعل ذلك حتى يظن خلمه انه قد سافر . وقبعته في جيبي الان . اما عصاته فقد اخفيتها خلف دولاب الكتب .

حقا ان لوبين لا يغفل عن شيء . !

وقال لوبين :

ــ احذر ان تخلف على الارض رماد ســـــيجارتك .. اودع الرماد جيبك

ومن دولاب في صدر الغرفة اخـــرج لوبين خيطـــا ووسادة صغيرة محشوة بالقش وقال :

ــ لقد نمت هنا الليلة الماضية .. وهذا هو فراشي فعليك ان تحذو حذوي .

فقال روجر في استغراب :

ــ احذو حذوك . ! هذا محال . ! لا استطيع . !

ودوى مايشـــبه الطلق النارى . وفزع روجر .. وقال : ــ ما هذا .. ؟

ــ زجاجة شمبانيا .. لقد جئت بها من دار ليفي .. وهناك زجاجة أخرى لك ان تهديها الى ليفي عندما يستفيق .. وهناك بعض قطع من السندوتش .

وبعد سكتة قصيرة قال روجر :

ــ والقارب .. انه سينم علينا .. ؟

ولكنه لم يسمع جوابا .

وعاد روجر يقول :

ــ فراشك .. ماذا تنوى ان تفعل بالقارب .. !

فصاح لوبين : ــ نم انت ودع لى الاهتمام بالقارب .. !

وكان الظلام حالكا . ولكن روجر ادرك من نبرات لوبين أن النعاس كان قد بدأ يراوده .

الفصل الخامس عشر

استيقظ روجر من نومه وقد اضحى النهار وتسرب الضوء الى البرج . وكانت النوافذ مغلقة وللمكان رائحة خاصة شبيهة برائحة المباني العتيقة .

ودار روجر بعينيه في ارجاء المكان . ولكن لم يفتنه لا البرج القديم بنقوشه الاثرية ولا التماثيل الجميلة المثبتة في الاركان . وانما فتنه منظر لوبين ومنظر ليفي ، ســـجين البرج .

كان الرجلان لا يزالان مستغرقين في النوم . وكانت بجبهة لوبين آثار من الجروح التى اصابته من شظايا الكأس .. وفي يد ليفي كان القيد الحديدى وقد شد اليه حبل ربط في وتد في ركن البرج .

وفتح لوبين عينيه وقال باسما :

ــ انمت جيدا يا روجر .. ؟ هيا تقدم الى صديقك ليفي وايقظه من نومه وقدم كاسا من الشمبانيا ..

ولكن زجاجة الشمبانيا كانت فارغة .

ــ انها فارغة .. !

ــ فارغة .. ؟ اذن فقد استيقظ هذا الشيطان في الفجر واتى على ما كان فيها .. ؟ ولكنه لم يمس قطعة واحدة من الســندوتش .. ؟ انه فيما ارى مدمن على الخمر .. ان في نيتي ان اقدم اليه الزجاجة الاخرى اذا مثل امام المحكمة في شجاعة وتلقى الحكم الذى سيصدر عليه متجلدا .

فقطب روجر جبينه وقال :

ـ الحكم الذي سيصدر عليه .. أكنت اظنك ستحتفظ به رهينة الفدية .. ؟

ـ انه لن يكون فدية الا بعد المحاكمة .. محاكمة عادلة نسمع فيها ما لدى المتهم من اسباب الدفاع عن نفسه .. ! فهيا اسرع يا روجر واغسل وجهك .

ـ وانت .. ؟

ـ لا داعي لان اغسل وجهي فقد عدت بالقارب الى مكانه بعد ان استغرقت انت في النوم وعدت سباحة . فما حاجتي الى غسل وجهي بعد ذلك ؟

واذ رجع روجر الى الغرفة الفى لوبين قد جلس على برميل فارغ متخذا منه منصة القضاء وسمعه يقول مخاطبا ليفي : يا سجين البرج .. ! لقد حكمت المحكمة برفض طلبك الاخير .. ! لقد طلبت كأسا من الخمر والمحكمة تلاحظ انك شربت اكثر من نصف زجاجة بعد الفجر . ولما كان ينبغي ان تتهيأ الان للدفاع عن نفسك وتفنيد التهم الموجهة اليك ، فقد رأت المحكمة أن تمنع عنك الخمر حتى لا تفسد ذهنك . الا تعلم ان الخمر هي سبب الادواء التي تشعر بها .. ! ولولا الخمر لكنت الان على علم بالمكان الذي توجد فيه .

ـ ليست الخمر هي السبب في هذا الجهل . اني اشعر بصداع .. فلا شك انك مزجت بالويسكي مخدرا هو الذي افقدني الوعي وسأعرف كيف اقتص منك .

فقال لوبين : هذا جائز .. ! وهناك زجاجة من الشمبانيا لا زالت مغلوقة لم يمسسها احد . وسأقدمها هدية اليك اذا احسنت السلوك ولم تتهجم على هيئة المحكمة .

ثم دق لوبين على البرميل بقطعة من الخشب وقال : فتحت الجلسة .

وقال روجر فزعا : خفف من شدة هذه الدقات .

ـ اطمئن يابني .. ان هذه الغرفة مزدوجة الجدران لا يسمع في الخارج ما يجري في داخلها .

وبعد سكتة قصيرة استطرد :

ـ التهمة الموجهة الى المتهم هي : اقراضه الناس بالربا الفاحش . وسعيه المستمر الى خدع عملائه ثم غدره باصدقائه . وقد قررت المحكمة ان لا تسمح لك بالدفاع عن نفسك لان التهمة ثابتة بالدليل القاطع . ولكن لك اذا شئت ان تبدي من الاسباب ماتراه في نظرك مبررا لما ارتكبت وسيتولى صديقي هذا الدفاع عنك . روجر .. لقد انتدبتك المحكمة للدفاع عن المتهم .

وضحك روجر .

وطرق لوبين البرميل بقطعة الخشب وقال :

ـ المحكمة تلفت نظر الجمهور الى ان الضحك ممنوع .. انه يتنافى مع ما ينبغي للقضاء من احترام واجلال . واذا تكرر ذلك فسآمر باخلاء القاعة . هذه محكمة وليست مسرحا .. !

وكان ليفي لائذا بالصمت طيلة الوقت . ولكنه الان فتح فمه وراح يسب القاضي ويلعنه .

وقال لوبين :

ـ امسك لسانك . ان اهانة المحكمة لن تجديك نفعا .. بل ستكون سببا في تشديد العقوبة .. والان اجب على هذه الاسئلة : هل انت المرابي المسمى دانيل ليفي ؟

ـ اظن ان هذا هو اسمي .. !

ـ عال جدا .. واني احترمك من اجل هذا يا مستر ليفي .. كان في وسعك ان تتخلى عن هذا الاسم وتنتحل لنفسك اسما آخر .. وليم .. ماكدونالد .. ماكروجر ..

او شيء من هذا القبيل . ولكنك لم تفعل .. كنت صريحا لم تحاول ان تخفي عنصرك .. هذه نقطة طيبة ستراعيها المحكمة عند اصدار الحكم . ولكن النقط الاخرى ليست في مصلحتك لسوء الحظ .. فانت رجل بلا ذمة ولا ضمير .. وقد تكون اعظم مراب في لندن ولكنك في الوقت نفسه اعظم شرير في هذه المدينة .

وقال ليفي :

— ولكنى وجدت من هو شر منى .. حضرة القاضي المحترم . !

— يجوز .. يجوز .. ولكن دعنى اذكرك اولا بانك قد اهنت المحكمة للمرة الثالثة او الرابعة لا ادرى .. ودعنى اذكرك ثانية ببعض اعمالك الشريرة .. ففى العام الماضي شكاك اربعة من عملائك ورفعوا امرك الى القضاء الذى افتى بان الشروطك جائرة مرهقة وامرك بتعديلها ولكنك تفرض هذه الشروط الجائرة على جميع عملائك معتمدا على انهم لن يرفعوا امرك الى القضاء كما فعل هؤلاء الاربعةاتقاء للتشهير وفضح اعمالهم علانية امام الناس وفي الصحف . ولا تنس انك دفعت ببعض عملائك الى الانتحار اوالى مستشفى المجانين . أتذكرالفس لينكولنشير الذى اختل عقله بسبب تورطه في الدين وسعيك الى بيع املاكه . ! واولئك الرجال السبعة الذين انتحروا في خلال الاعوام العشرة الماضية بسبب ارهاقك لهم . ؟ واستنزافك اموالهم . ؟ ومما هو معروف عنك انك لا تتورع عن اقتناص الضحايا من اى نوع ومن اية طبقة كانوا اغنياء او فقراء . والان .. وقد انكشفت فضائحك ومخازيك وقعت في يد من لا يرحمك .. في يد من سيقتص منك باسم هؤلاء الضحايا جميعا .

وقال ليفي مقاطعا :

— هذه اكاذيب . ومع ذلك فانت لم تقتص منى ولن تقتص .. دع هذه الاشاعات التى ينشرها خصومى وحدثنى عما عرفت وخبرت بنفسك .. انظر الى آل جارلاند . ! اليسوا هم الذين جروا على أنفسهم المتاعب بتصرفاتهم ؟ ..

— يجوز . ولكن لا اظن أن علاقتك بآل جارلاند هى التى جلبت عليك نقمتى .

ما الذى هاجك ضدى اذن .

— معاملتك لى .. معاملتك غير العادلة .

— انك لص .. ومحتال . !

— فليكن .. انى اتكلم عن نفسي بصفتى طرفا في صفقة عقدت بيننا .

— انك لص . وانى اعرف عنك اكثر مما تعتقد . !

فضحك لوبين وقال :

— وانا ايضا اعرف اكثر مما تعتقد . ومع ذلك فهذا حديث خارج عن الموضوع وليس هنا مكانه . استمع ايها المتهم . لا تنس انك ماثل الان امام المحكمة وان اية محاولة منك لانتقاص هيبتها او اهانة مقامها كفيلة بان تؤدى الى تشديد العقوبة . لقد اشرت منذ قليل الى اصدقائى وقلت انهم بحماقتهم سببوا لا نفسهم تلك المتاعب . وهذا القول يمكن ان ينطبق على جميع عملائك . لقد احتاجوا مالا فلجأوا اليك فاقتنصت الفرصة وفرضت عليهم شروطك الجائرة . ومما يؤسف له ان القانون لا يتدخل في هذه الحالة . ولهذا اقمت نفسي مقام القانون . واذا كان القانون لايتدخل فساتدخل انا . واذ كان لا يحمى الناس من شرورك فساعمل انا على حمايتهم .

فقال ليفي متبسما :

ــ الا تعلم انك بتدخلك افسدت الامور وحملتني عل ان اطالب باقتضاء الدين فورا . ؟

ــ هذا صحيح . ولكننا عقدنا صفقة لا تزال قائمة عليك أن تشطب رهنيه بثلاثة عشر ألف جنيه عن مبـ لم تدفع منه الى مستر جارلاند الا عشرة آلاف . وعلـ ايضا ان تؤجل الرهنية الاخرى عاما مع تنازلك عن خمـ عشر الف جنيه وهذا المبلغ اقل من الفوائد الفاحشة التـ تقاضيتها . .

ــ وما الذى انال مقابل هذا . ؟

ــ لقد عهدت الى بان آتيك بخطاب يهمك . خطـ اكدت لى انك لم تكتبه . وقد جئتك بهذا الخطاب الـ دارك في الليلة الماضية وقد اختطفته من يدى والقيت به فـ النار . لقد اخذتنى على غرة : !

ونهض لوبين واقفا واقترب من المتهم وعيناه تتوقدان غضبا كأنما يهم بالانقضاض عليه . ولم يغب عن ليفي حر موقفه فقال في لهجة ذليلة :

ــ لا انكر يا مستر مارش انى اخطأت في هذا التصرف كان ذلك منى حماقة لا تغتفر . وانى لآسف لهذا . ولكنها الخمر . هى التى افقدتنى الصواب .

ــ اذن فانت تعترف بانك كنت سكران . ؟

ــ نعم . لا شك انى كنت ثملا جدا .

ــ ولكنك قلت منذ برهة اننا دسسنا لك مخدرا فى الخمر . !

ــ كنت امزح يا مستر مارش . لقد افرطت في الشراب ففقدت الوعى . كلا . انك لم تخدرنى . انى موقن من هذا.

ــ اذن فما كان في نيتك أن تغدر بى . ؟

ــ كلا . اقسم لك انى كنت امينا في الصفقة التى عقدتها.

ــ ولم تغدر بى الا حين رأيتنى اتردد في اعطائك الخطاب . !

ــ نعم . واقسم على ذلك يا عزيزى مارش .

ــ اذن فلماذا اطلقت في اثرى نفرا من اعوانك يراقبوننى على اثر اللقاء الذى جرى بيننا صباح يوم الجمعة . ؟

فقال ليفي في ذعر :

ــ اطلقت في اثرك اعوانى .. هذا ليس صحيحا . ! ما الذى يدعونى الى ذلك . . ! لا شك أنهم من رجال الشرطة .

ــ كلا . . انهم ليسوا من رجال الشرطة . وان كانوا قد حاولوا ان يتظاهروا بذلك .. ولكنى يا مستر ليفي خبير بالوجوه . . واستطيع ان اميز بين الشرطى الحقيقى والشرطى المزيف . . ان من كان مثلى لا يخدع ولكنى قد استطعت ان اضللهم بسهولة . ولم يهتدوا الى اثرى الا حين سطوت على مكتب المحامى بارو بالامس فقد اعترضوا طريقى واثاروا في وجهى بعض المتاعب والعقبات .

ــ الم تقل انك تركتهم هناك ؟

ــ هذا صحيح .

ــ اذن فما الذى يجعلك تتوهم انى انا الذى استأجرت هؤلاء الرجال وارصدتهم لمراقبتك ؟

ــ انى لا أتوهم .. انى موقن مما أقول .

ــ وكيف ايقنت . ؟

وارتسمت على شفتى لوبين ابتسامة خفيفة وقال :

ــ اتريد منى ان افشى اسرار سواى يا مستر ليفي .

وساد الصمت برهة .

ثم قال المرابى :

ــ وهبنى اطلقت في اثرك هؤلاء المراقبين فهل تعتقد انه كانت لى غاية خلاف الاطمئنان على سلامتك .

فابتسم لوبين وقال :

ـ بل كانت غايتك الاطمئنان على سلامة الخطاب من ناحية وعدم تكبدك اية نفقات من ناحية اخرى .. لقد امرت رجالك بأن ينقضوا على عند خروجى من مكتب المحامى فينتزعوا منى الخطاب ويتركونى حرا .. هذه هى تعليماتك اليهم يا مستر ليفى .

وما سمع مستر ليفى هـذه الكلمات حتى افلت زمام اعصابه وصاح :

ـ هم الذين اخبروك بذلك . ؟ لقد وشوا بى .. ! تبا لهم من خونة . تبا لهم .

فقال لوبين باسما :

ـ ارجوك يا مستر ليفى ان لا تلعن الخونة والا لحقك رشاش من هذه اللعنات .. انك سيدهم واستاذهم فى الخيانة .

فاستدرك اليفى بأن قال :

ـ انهم كاذبون .. هذا ادعاء ملفق .. انى لم آمرهم بشىء من هذا الم تدرك انهم كاذبون . ؟ لقد امرتهم بمراقبتك هذا صحيح .. ولكن حرصا على سلامتك .. كما قلت لك منذ لحظات .. كنت اخشى ان يلحق بك السوء وانت من المبتدئين .. ارسلتهم فى اثرك لحمايتك ضد حارس المكتب .. وضـد رجال الشرطة . لقـد كاشفتهم بالسر فاستغلوا الامر لصالحهم .. أرادوا ان ينتزعوا منك الخطاب ليحتفظوا به لانفسهم ثم يتخذوا منه اداة لابتزاز المـال منى .. فلما اخفقوا فى الاستيلاء على الخطاب راحوا يلفقون هـذه الوشاية .. انهم كاذبون ياعزيزى مارش .. كيف لم تدرك انهم كاذبون . انك رجل ذكى ولا يمكن أن يخدعك هؤلاء الحمقى .

وقال لوبين وقد ارتد الى منصة القضاء :

ـ اهذا هو دفاعك عن نفسك . ؟

ـ اننا شريكان فى الصفقة .. وقد خدعك هؤلاء الاوغاد كما خدعونى وانى شديد الاسف اذ ائتمنتهم عـلى سرى . اننا صديقان يا مستر مارش وليس من الانصاف ان تدعنى موثقا بهذا الشكل . !

فقال لوبين :

ـ اذن فلا زلت تعترف بالصفقة التى عقدت بيننا . ؟

ـ طبعا .. وما خطر لى مطلقا ان انقضها .

ـ اذن اين السند الذى حرره جارلاند على نفسه . ؟

ـ انه فى محفظتى . ؟

فهز لوبين راسه وقال :

ـ الويل لك اذا كنت كاذبا .

ـ اكذب . ! انه فى جيبى .. ارفع هذا القيد لكى اقدمه اليك لا داعى الآن لوجود هذا القيد .. الـسنا صديقين ؟

فهز لوبين راسه وقال :

ـ انك غير جدير بالثقة .. روجر .. إبحث عن السند فى جيبه .

وكان السند فى جيبه فعلا .

وقارن لوبين التوقيع المذيل به بتوقيع جارلاند اتى به معه .

وقال ليفى : انه غير مزور .

ـ لقد ادركت هذا .. والآن ارجوك ان توقع على هذه المخالصة .

وابرز من جيبه مخالصة قانونية اعدها له صديقه المحامى كما ابرز وثيقة بمد اجل القرض الثانى عاما آخر .

وكان منظورا أن يثور اليفى ويرفض التوقيع .. ولكن

يظهر انه ادرك سـوء مركزه فلم ير ما يدعوه الى العناد او لعله كان يبيت في ذهنه خطة اخرى . فقد وقع لوبيقين في غير تردد .

وقال ليفي :

ـ احسبني الآن قد سلكت مسلكا طيبا استحق من اجله كاسا من الشمبانيا .

ـ ليس الآن يا صديقي . ! اننا لم نتجاوز بعد المرحلة التي كان ينبغي ان تتم في دارك بالامس لو لم تغدر بي .. لو انك خالص النية لوقعت هـذه الوثائق في دارك .. هذه الوثائق التي تعهدت بتوقيعها من تلقاء نفسك .

ونظر ليفي الى لوبين نظرة طويلة ثم قال :

ـ الم اقل لك ان الخمر كادت تفقدني الصواب بالامس . ؟ واني تصرفت تصرف الحمقى لاني كنت في غير وعيي . ! وها انذا اقسم لك على اني اسف لما بدر مني .

فقال لوبين :

ـ اني اصدقك ولكن قذفك الكاس في وجهي كان اخر عمل من اعمال الخيانة التي اقدمت عليها لا اول عمل .

ـ ولكن الم اشرح لك وجهة نظري . ؟

ـ هذا صحيح .. لقد حاولت ان تخدعني ونسيت اني لا اخدع بسهولة .. دع عنك المراوغة يا مستر ليفي . اني على علم بحركاتك وسكناتك ان هذه الاكاذيب لن تجديك نفعا . فهل لديك دفاع تتقدم به قبل ان تصدر المحكمة حكمها ضدك . ؟

وغشي المكان سكون طويل .

كان ليفي صامتا لا ينبس بكلمة واحـدة .. ثم انفقدت عيناه وارتعدت شفتاه . وقال :

ـ لا داعي الكذب . ! لقـد اعتقـدت انك احتلت على

واكرهتني على عقد هذه الصفقة . فأردت بدوري ان احتال عليك .

فقال لوبين هاتفا :

هذه والله اول كلمة صدق انفرجت عنها شـفتاك . فدعني انبئك على سـبيل التشجيع ان المحكمة قررت تخفيف الحكم بنسبة الربع بسبب هذه القولة الصادقة . لقد حكمت عليك المحكمة بأن تدفع خمسة عشر الف جنيه عقابا لك على الغدر .

واحمر وجه ليفي . ! يدفع . ! هذا محال . ! انه الرجل الذي اعتاد ان يقبض فكيف يدفع . ؟ اعتاد ان يأخذ فكيف يعطي ؟ .

وصاح يقول :

ـ ادفع . ! محال . ! هذا ابتزاز بالتهديد .

ـ وحكمت عليك المحكمة بغرامة عشرة جنيهات عقابا لك على التهجم على مقامها .

وفجاة زايلت الشجاعة ليفي واخذ يبكي ويتأوه . وهم وجر ان يقطع الحبال المقيد بها . ولكن لوبين رده بقوله :

ـ كلا .. ابق الحبال والقيد . ! فليدفع اولا .

وفي صوت ضعيف متخاذل قال ليفي :

ـ سادفع . ! اني استحق هـذا العقـاب . ! الغلطة غلطتي . ! اني اعد بالدفع . !

ـ حسـنـا .. هاك دفتر شيكاتك وقد اتيتـك به من مكتبك .. وهاك قلمي .

ـ الا تثق بكلمتي . ؟

ـ اني أوثر أن أثق بشيكك .. اني اريد المبلغ نقدا .

ـ اني على استعداد لذلك . ! هيا بنا الى مكتبي .

ـ مكتبك . ! احسبتني مغفلا . ؟

— الى البنك اذن
— ولا هذا أيضا .. انى أوثر ان اذهب وحدى .. حرر الشيك دون ان تذكر اسمى اجعله « لحامله » .
ودفع روجر القلم في يد ليفي .
وظل هذا جامدا برهة قصيرة ثم قال :
— وهبنى رفضت .. ؟
— لن ارغمك .. ! سأدعك وحدك على ان اعود اليك في المساء .. ! انى احب ان افسح لك الوقت للتفكير .. !
فقال ليفي :
— والاستنجاد ايضا .. ؟ سأظل طيلة النهار اصرخ مستنجدا .
فابتسم لوبين وقال :
— ألا تعلم اين أنت الان .. ؟
— كلا .. ولكن في وسعى أن أعرف .
— اذا عرفت فستعرف انه لن يسمعك أحد حتى ولو صرخت ثلاثة أيام كاملة .. ؟ انك في غرفة مزدوجة تكتم الاصوات .. ومع ذلك ففي نيتى ان اكمم فمك حتى اقى حنجرتك من التعب .. !
وبعد سكتة قصيرة قال ليفي :
— وهبنى حررت الشيك .. ؟
— ستبقى حيث انت وفي رفقتك صديقي روجر ريثما اذهب الى البنك لاصرف الشيك .. فما كنت لاطلق سراحك حتى تتصل بالبنك تليفونيا وتأمر بالغاء الشيك .
وفكر ليفي برهة .. لم يكن هناك مناص من الخضوع لهذه الشروط وتناول القلم .
وقال لوبين :
— لا تنس .. خمسة عشر الف جنيه .. وعشرة

جنيهات قيمة الغرامة لاهانتك المحكمة .. ولكن لا .. لقد اعفتك المحكمة من دفع الغرامة .
وحرر ليفي الشيك وقدمه الى لوبين .
وابتسم هذا وقال :
— احسنت صنعا .. الان استطيع ان اقدم اليك الشمبانيا .
وتحول لوبين الى روجر وقال :
— اسهر على حراسته حتى أعود .
— احب ان اسر اليك كلمة قبل انصرافك .
— حسنا .. هيا بنا الى الطابق الارضى .
وهبط الرجلان الى الطابق الارضى .
وقال لوبين :
— عجل يا روجر اذ ينبغى ان ألحق القطار .
وقال روجر :
— ما الذى يدعوك الى الذهاب الى البنك ؟
— لاصرف الشيك قبل أن يأمر بالغائه .. أتحب ان تذهب بدلا منى يا روجر ؟
— كلا .. شكرا ..
فضحك لوبين وقال :
— لقد اخترت لك المهمة الاسهل .
— حقا ..
— طبعا .. الرجل موثق اليدين والقدمين وعما قليل تبدأ الشمبانيا مفعولها فما الذى يخيفك منه .. واذا صرخ فلن يسمعه أحد . الغرفة مزدوجة الجدران . والبستانيون يعملون في الحديقة على مسافة كبيرة أما الخطر الوحيد فقد يأتى من ناحية قارب يمرق فى النهر الى جوار البرج . ومع ذلك فانى ارتاب فى أن يسمعه من فى القارب .

فقال روجر :

– انى راض بمهمتى .. ان مهمتك هى التى تزعجنى

– تزعجك .. فليطمئن بالك يا عزيزى روجر .. ا
أعرف كيف أتدبر الامر .

وهز روجر رأسه وقال :

– فرانك .. ليست هذه الفعلة من طرازك .. انك
لست بالرجل الذى يبتز المال بالتهديد .. هذا يفسد رو
مغامراتك .

– روح مغامراتى ؟ ..

– نعم .. انك تقدم على هذه المغامرات ولعا بالمجازفة .. فضلا عن الناحية الانسانية التى تدفعك الى الانتقام من الاغنياء من أجل الفقراء .. اما ابتزاز المال بالتهديد ..

– هذا عقاب وليس ابتزازا ..لقد غدر بى ليفى فينبغى أن ينال جزاءه .. يجب أن يدفع تعويضا ..

– انى لا أشاطرك رأيك يا فرانك .. انها لعبة خطرة . انك بهذه الفعلة تنحدر الى درك وضيع .

– انحدر .. يا الهى .. أتريد ان تقول انى لم انحدر بعد .. انى لص فماذا تبغى اكثر من هذا .. اتريد ان تقول انى لص شريف ؟ . وهل هناك لص شريف ولص غير شريف .. الفاظ يا صاح .. انى لص .. وقد بلغت الدرك الاسفل فلا درك بعد ذلك . فدع عنك هذه الترهات ولاوهام .

– ولكنك تقدم على هذه الاعمال بروح رياضية . ان دافعك نبيل .. انك ..

فقال لوبين مقاطعا :

– ما هذا الهراء يا عزيزى روجر ؟ .. دافع نبيل .. روح رياضية .. ؟ يالله أتريد أن تخلق منى بطـلا .. انى أعرف نفسى حق المعرفة .. انى لا أعدو أن اكون لصا . انى

لست اشرف من للص الذي ينقض عليك فى جوف الليـل ويضربك على رأسك بقبضة مسدسـه ليسلبك ما فى جيبك .. القانون يا صديقى لا يفرق بين لص ولص .. قد أوزع ما أسرق على الفقراء . وقد أنقذ باعمالى الاشقياء والمنكودين .. ولكنى ساظل دائما لصا فى نظر الناس والقانون ..

ودار على عقبيه .. وانصرف .

الفصل السادس عشر

رجع روجر الى حيث كان سجين البرج .

وكان الرجل راقدا على الارض مغمضا عينيه وهـو يرسف فى أغلاله ..

وجلس روجر فوق البرميل الفارغ وراح يدير عينيه فى المكان .. يا لها من نومة عجيبة الشأن .. رجل يخطف من داره فى جوف الليل ويحمل الى دار لا تبعـد الا قليلا فيحبس فى البرج ثم تشد أغلاله .

وها هو ذا الآن مستغرق فى النوم وقد بدات الشمبانيا تترك أثرها .. ونظر روجر الى وجه الرجل .. وجه شرير أثيم .. ولكن أتراه يستحق كل هذه القسـوة التى أبداها لوبين ؟ ..

وهذا البرج الموحش .. أثر من آثار الماضى البعيـد السحيق .. ترى كم رجل هلك فى هذا البرج فى القرون الخالية ؟ .. وكم مأساة غرامية شهدها وجرت بين جدرانه ؟ وكم ..

وانتبه روجر من خواطره على صوت منتظم .. دقات متتابعة لا تكف ولا تسكن .. ولا تتباطأ ولا تسرع ..

عجبا .. ما هذه الدقات ؟

وفجأة سمع روجر صوتا يقول :

– ما هذه الدقات ؟ ..

وفزع روجر للصوت ..

يالله .. انه ليفي هـو الذى يتكلم .. وكان لا يزال مطبقا جفونه ..

وقال روجر :

ـ كنت أحسبك نائما ؟

ـ كاد يغلبني النعاس .. أتعرف مصدر هذه الدقات ؟

ـ كلا .. وأنت ؟

ـ انى أعرفها .. انها دقات ساعة ..

ـ أية ساعة ؟ ..

ـ ساعة البرج طبعا .. انها مثبتة فى الضلع المواجه للطريق ..

فقال روجر فى استغراب :

ـ وكيف عرفت هذا ؟

فضحك ليفي وقال :

ـ انى أعرف هذه الساعة يا صديقى كما أعرف مسالك هذا البرج .

ـ اذن فانت تعرف المكان ؟

ـ طبعا .. وقد كدت أشتريه فى يوم من الايام .. انه قصر ماركيل ..

ـ اذن لماذا كتمت عنا ذلك .. لقد تظـاهرت بانك لا تعرف هذا البرج ..

فضحك مرة أخرى وقال :

ـ ان التظاهر بالجهل قد يكون مسليا للمرء فى نكبته فى بعض الاحيان .

ـ وهل أجداك نفعا هذا التظاهر بالجهل ؟

ـ سيجديني طبعا .. وقد يكون سببا فى نجاتى .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى انك تبـدو أقل عنادا من صـديقك مستر مارش .

ولبث روجر صامتا . ترى الى أية غاية يرمى ليفى .

واسترسل المرابى يقول :

ـ ان صديقك مارش رجل مولع بالمغامرات .. وهو يحب أن يستهدف للاخطار .. على النقيض منك فانت فيما أرى رجل هادىء وديع .. وانى لاخشى أن يزج بك مارش فى مازق لا قبل لك به .. انه رجل جسور أحمق التصرفات .. وعلى طيش شديد . وانى أعتقد انه زج بك فعلا فى مازق خطر . ومع ذلك فلندع الحديث فى هذا الشأن .

وبعد سكتة قصيرة عاد يقول فى صوت خافت كأنما يخاطب نفسه :

ـ هذا غريب .. من كان يظن انه سيغفل عن هذا .

فقال روجر متسائلا :

ـ يغفل عن أى شيء .. ؟

ـ الساعه .. لا شك ان صديقك قد رأى هذه الساعة من قبل .. فان اختطافى كان أمرا مدبرا متعمدا ولم يقع عفو اللحظة .. وقد رأى الساعة وعرف انها دائرة . فكيف غفل عن انها لا يمكن أن تدور باستمرار وانه لابد من ملئها ؟ وكيف غفل عن معرفة اليوم الذى تملأ فيه الساعة فى كل أسبوع .

فقال روجر :

ـ وما أدراك انه غفل عن هذا ؟

ـ لان هذا هو اليوم الذى تملأ فيه الساعة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة .

وقال روجر :

ـ هذا تهويش .. ادعاء كاذب ..

— إيه .. صدقني أو لا تصدق .. هذا شأنك أنت ..
اني أعرف رجلا سار مرة الى هاوية دون أن يبالي وهو يعلم انه يسير الى الهاوية وقد تردى فيها وحده .

فهز روجر كتفيه وقال :

— اني لست بالغر الابله .. حتى تخدعني ادعاءاتك أقنعني أولا قبل ان أصدق حرفا من مزاعمك . كيف عرفت ان هذا هو اليوم الذي تملأ فيه الساعة . وان العامل سيحضر اليوم الى البرج لملئها ؟

— اني أعرف العامل نفسه . في كل يوم ثلاثاء يأتي من كنجستون لملء الساعة .. وقد اعتاد أن يمر بداري ليصلح ما لدي من الساعات وهكذا عرفت انه يحضر الى البرج في هذا اليوم . ومع ذلك فلست أكرهك على أن تصدق قولي . سيحضر العامل ظهرا .

— وأين آلة الساعة .. اني لا أرى شيئا في هذه الغرفة ؟ .

— انها في الطابق الارضي .

وذكر روجر انه رأى آلة الساعة حقيقة داخل دولاب من البلور مثبت في الجدار .

وقال ليفي مستطردا :

— اليوم سيحضر العامل ويدخل الغرفة السفلى . وهي قريبة كما ترى .

— وستسمعه طبعا عند قدومه .

فقال ليفي في لهجة ذات مغزى :

— وسيسمعنا هو أيضا ! .

فقال روجر متوعدا :

— اسمع يا مستر ليفي .. اذا بدر منك أي صوت عند حضور الرجل فلن أتردد في اطلاق النار عليك .

— وهل ينجيك هذا . ان دوى الرصاص سينبه أهل الناحية جميعا وفضلا عن هذا فلا يطلق النار الا قاتل أثيم . وأنت فيما أرى رجل طيب القلب كريم النفس .

— لا تنس ان في وسعي يا مستر ليفي أن أضربك على رأسك بقبضة مسدسي فترتد الى الغيبوبة التي كنت فيها .. أنسيت ساعة أن طرحتك أرضا وصدمت بها رأسك .

— لقد فعلت هذا في لحظة غضب ثائرة . ولكنك لن تقدم على هذه الفعلة مرة أخرى متعمدا .

وبعد سكتة قصيرة قال ليفي :

— سيأتي يوم تندم فيه على مجاراتك مارش في اهوائه .. انه رجل مجازف . أما أنت فلم تخلق لهذه الآثام والجرائم . اني أعلم يا مستر روجر انك ضعيف الارادة وان دورك في هذه الجرائم لا يكاد يذكر . ولكن القاضي لا يعلم هذا . سيحكم عليك بنفس المدة التي يقضي بها على مارش .

وادرك روجر أن ليفي يرمي الى غاية معينة . وأراد أن يجاريه ليكشف خطته فقال :

— وما العمل . لقد تورطت ولا سبيل الى التراجع .

— بل في وسعك أن تتراجع . في وسعك أن تنجو بنفسك قبل أن يفوت الاوان .

وقال روجر محاولا استدراج ليفي :

— وكيف السبيل الى هذا ؟

— أولا باطلاق سراحي . وثانيا بالفرار باسرع ما في وسعك ..

وأرسل روجر بصره الى ليفي . وتظاهر بانه يدرس الفكرة . ترى هل يتخلى عن صديقه لوبين وينجو بنفسه أم يظل متورطا في خطته .

وتظاهر روجر بالتردد . أيقبل أم يرفض . ثم قال :

- ولكن .. هذا رأى طيب .. ولكن ما جزائى ان فعلت ذلك ؟

فهتف ليفى وقد رأى الفرصة سانحة وظن أن روجر استجاب الى الاغراء ..

- اعطنى دفتر شيكاتى أحرر لك شيكا بمائتى جنيه أيرضيك هذا المبلغ ؟ انى على استعداد لمضاعفته .

فقال روجر : - حقا ؟ .

- بكل تأكيد .. وانى لاقسم على ذلك . اعطنى دفتر الشيكات .

وابتسم روجر .. لقد انكشفت اللعبة . ولم تجز عليه الخدعة ..

وفى صوت هادىء قال روجر :

- اذن فأنت مستعد أن تعطينى مائتى جنيه لكى أطلق سراحك ، بل اربعمائة !..

- نعم ..

- ألا يبدو هذا التصرف منك عجيبا .. ألم تقل منذ لحظات ان العامل سيحضر ظهرا ليملأ الساعة ؟ فاذا ما جاء الى لبرج فسيتولى انقاذك حتما . فهل من أجل ساعتين أو ثلاث تنقدنى اربعمائة جنيه .. أتريد أن تقول يا مستر ليفى انك أحمق مبذر .

وامتقع وجه ليفى .. لقد أدرك الغلطه التى انزلق اليها .. استدرجه روجر حتى كشف سره .

ولكنه لم يكن بالرجل الضيق الذهن .. كان يمتاز بحضور البديهة وعلى الفور قال :

- انت مخطىء فى هذا يا صديقى .. لن أعطيك الاربعمائة جنيه لكى أكتسب ساعتين أو ثلاثا .. وانما لكى أنقذ سمعتى بين الجيران .. أتريد أن يقول عنى الناس ان

العامل وجدنى موثقا كأننى شاة حقيرة .. وأين اذن شجاعتى وأين حبى للنضال ؟ كلا يا صاح .. اربعمائة جنيه لكى أنقذ سمعتى .. هذا هو الوضع الصحيح . ومع ذلك فالامر لا يستحق منى كل هذا الاهتمام ولا داعى لان أبعثر أموالى . فليضحك منى جيرانى فلن آبالى .. سأحتفظ بأموالى .. هذا خير لى .. كلا يا صاح .. لا تحل قيودى .. ابقنى مكانى حتى يحضر العامل فيتولى انقاذى .. انى لا أريد معونة منك ..

ولزم روجر الصمت .. راح يفكر فى هذه القصة .. ترى هل أصدقه ليفى القول ؟ ترى هل كذب ؟

فى البرج ساعة .. ولابد أن تملأ هذه الساعة .. فمتى تملأ .. غدا .. بعد غد .. وهل فطن لوبين الى هذا الامر ؟ ..

واذا كان صحيحا ان العامل سيحضر اليوم فلماذا عرض ليفى هذا المبلغ الكبير ثمنا لاطلاق سراحه .. ؟ لقد علل الامر بأنه صيانة لكرامته .. وهذا شعور طبيعى .

وقال روجر فى نفسه :

- لو انى كنت مكانه..وعلى مثل هذا الثراء لما ترددت فى أن أدفع المبلغ لاصون سمعتى .. يا له من هوان ان يعرف الناس انى وجدت مقيدا موثقا ..

ومع ذلك فربما كان ينوى أن يوقف الشيك الذى حرره للوبين .. ؟ فكأنه بهذه الاربعمائة جنيه سيشترى خمسة عشر ألفا ! واذا كان الامر كذلك فلابد من اكتسابه الوقت ..

ولوبين .. لقد تأخر .. متى يعود يا ترى ؟

ونظر روجر فى ساعته فألفاها فارغة لا تسير .. وخيل اليه أنه مرت ساعات وساعات منذ خرج لوبين .

وراح يعد دقات الساعة .. ستين دقة .. دقيقة واحدة .. ياالله .. ما أبطأ ما يمر الوقت . لقد خيل اليه أن هذه الدقيقة ربع ساعة على الاقل . اذن فما أبطأ لوبين .

وكانت الغرفة موصدة النوافذ .. ولم يكن من الحكمة فتحها والا أثارت شبهات البستاني أو الحارس .. ولكن ما العمل وقد اشتد الحر .. ان الشمس الآن تسلط أشعتها على البرج .. وخلع روجر جاكتته .. ولكن الحرارة أخذت تشتد وتتضاعف .

ولم يطق صبرا فخرج الى رأس السلم وجلس .. هنا يستطيع أن يصيب شيئا من الهواء الطلق الذى يتسرب من النافذة المفتوحة فى منتصف السلم .

وسمع لفيي يتنهد ويقول :

– الا تبا لهذا الحر الخانق ؟

ورفع ليفى رأسه .. حركة خفيفة غير ملحوظة ؛ولكنها أثارت انتباه روجر .

انه يصيخ بسمعه ، فلماذا ؟

وبدوره ارهف روجر أذنيه ..

نعم ، لقد سمع الصوت ، أو خيل اليه انه سمعه ، وقع خطوة خفيفة . خطوة فوق الدرج ، ولا تكاد تسمع .

وراح روجر يحدق الى ناحية السلم ، ولم يحول بصره الا حين يسمع صلصلة الاغلال فى يدى ليفى .

وفجأة فتح ليفى فمه .. أدرك روجر انه سيصرخ مستنجدا .

ولم يكن ثمة مجال للتردد أمام هذا ..

وفى وثبة واحدة كان روجر واقفا عند رأس ليفى .. ومال اليه ووضع يده على فمه يكتم الصرخة التى توشك أن تنطلق . وباليد الاخرى راح يضغط عنقه .

وعض ليفى اليد الموضوعة على فمه . وبدوره قبض على عنق روجر وراح يضغطها بكل قوته .

وخيل الى روجر ان قواه توشك أن تخور وانه سيفقد الوعى حتما ..

كانت قبضة قوية .. جبارة .. كأنها قبضة غوريلا .

أين المعركة التى كان روجر يمنى بها نفسه ؟ .. أين النضال الذى كان يشتهيه .. ؟ رجل ازاء رجل . ها قد حانت الفرصة .

ولكنها وا أسفاه فرصة ضائعة . حلم انهار وتبدد ولم يعد له من أثر .

حاول روجر أن يتخلص من القبضة الخانقة . وكانت محاولة غير مجدية ..

حاول أن يباعد بين اليدين ولكن انى له ذلك والقيد يجمع بينهما ويساعد ليفى على ابقا. قبضتيه متصلتين مضمومتين .

وتناهض ليفى . وهم واقفا . على حين تراخى روجر وخذلت ساقاه ..

ومد روجر يده الى جيبه يتحسس المسدس . ولكن المسدس كان قد هوى الى الارض أثناء النضال .. أين هو ؟ أين .. ها هو ذا المسدس . ليته يستطيع أن يصل اليه .. ليته يستطيع ..

وبسط يده .. حاول أن يلمسه بأصابعه .. وأدرك ليفى غايته .. وبركلة من قدمه تدحرج المسدس صوب السلم ..

وعض روجر على شفته . لقد هوى المسدس الى الطابق الارضى .

وتحامل على نفسه ونهض واقفا . وكانت اليد الخانقة .. اليد الجبارة لا تزال آخذة بعنقه .

وترنح الرجلان . وبلغا رأس السلم . واستند ليفي الى السياج وراح يضغط العنق من جديد .

وشعر روجر بأن النهاية قد دنت .

وتهاوى الى الارض . وخارت قواه ..

وفجأة لمست أصابعه جسما صلبا باردا .. على الارض .. انه المسدس .

لم يتدحرج اذن الى الطابق الارضى كما توهم وانما اشتبك بالسياج وعلق به .

وقبض روجر على المسدس . انه النجدة الالهية .

ورفعه .. وتحركت اصبعه على الزناد .. سيقتل ليفي ..

وفى بدنه سرت قشعريرة .. أيقتله .. ؟ كلا .. أيلوث يده بالدماء .. كلا .. يكفى أن يرهبه .

ولف ذراعه وراء خصمه وأطلق رصاصة فى الهواء .

وتراجع ليفي الى الخلف مذعورا . وفى اللحظة التالية كان روجر شاهرا مسدسه فى وجهه .

صاح ليفي :

ـ حاولت أن تقتلنى .. حاولت أن تقتلنى .

وكان وجهه ناطقا بالرعب والفزع .

وقال روجر فى كلمات لاهثة :

ـ لم أحاول أن أقتلك وانما حاولت أن ارهبك . اطلقت المسدس فى الهواء . ولكنى على استعداد لان أطلقه على رأسك اذا بدرت منك أية بادرة . احذر لنفسك .

وتهاوى ليفي على البرميل الفارغ . زايلته روح النضال . ولم تعد فيه قدرة على العراك . وكانت شفتاه ترتعدان .

ورد روجر المسدس الى جيبه . لا داعى اليه بعد أن

ترك المسكين شيخا مهدما . لقد حاول أن ينجو وانهارت محاولته . فلا رجاء له بعد ذلك . ما عليه الا ان يذعن ويخضع .

وقال روجر وقد أدركته الشفقة :

ـ الغلطة غلطتك .. فاياك أن تعود اليها مرة أخرى .

وقال المسكين وهو يلهث :

ـ كدت تخنقنى فدافعت عن نفسى .

واخذ يلهث .. كان متعبا مكدودا .. بادى الاعياء .

كان أشبه بالثور الذى يخرج الى ميدان المصارعة متحفزا .. موثبا . فاذا ما استقرت الحراب فى جسده تهاوى الى الارض والدماء تنزف من جراحه .

ودفع روجر اليه بزجاجة الشمبانيا وقال :

ـ اشرب ..

ان الشراب هو الكفيل بأن يغرق همومه ويقضى على ما قد يكون باقيا فيه من عناصر الثورة .

وشرب ليفي .. جرعة بعد جرعة .. ثم مال برأسه فوق صدره واستغرق فى النوم .

وأخيرا سمع روجر وقع أقدام .

لقد عاد لوبين ..

وروى ما وقع فى المدينة .. وحمد روجر ربه على أنه لم يكن هو الذى ذهب الى البنك .

لقد توقع لوبين أن تنشأ بعض المتاعب عند صرفه الشيك . فقيمته جسيمة وهو محرر لحامله . وفى هذا مايثير الريب .

ومضى لوبين الى دار يستأجرها فى شلزى حى الفنانين بحجة أنه فنان وان كان لم يرسم صورة واحدة ، وفى هذه

الدار يودع أدوات التنكر بحجة انها ثيـــاب النماذج الذ
يرسمهم وان كان لم يستأجر انموذجا واحدا .

وتنكر لوبين في زى ضابط كبير الرتبة وجعل لوج
نفس ملامح الضابط ثم ذهب الى البنك ليصرف الشيك .

وحملق فيه الصراف برهة ولكنه نقـده المبلغ دون
يبدى كلمة اعتراض واحـــدة . وكيف يجسر والامر متع
بضابط رفيع المرتبه .

على أن المازق لم يقع الا حين رجع لوبين الى المركبة .

فعلى عتبة المصرف لقى شخصا يعرفه شخصيا ويعر
الضابط في الوقت نفسه .

وأقبل الصــــديق على لوبين يحييه عـــلى اعتبار ا
الضابط . وفى صوت يختلف عن صوته الحقيقى أجابه با
مخطئ وانه ليس الضابط المقصود ..

ودهش الصديق : ولكنه مضي في طريقه معتذرا .

وضحك لوبين وقال :

ــ وقد انتهت الآن المسالة بشرورها يا صـــاح . كان
هذه الحوادث مجازفة مربكة . ولكنها الآن قـد ارتدت ذكر
من الذكريات .

وتنهد روجر وقال :

ــ والآن ماذا ينبغى أن أصنع ؟

ــ لا شيء .. عد الى لندن وانتظرنى .. هـذا كل
أبغى منك . لقد أديت مهمتك على الوجه الاكمل وانى لمدي
لك بالشكر .. وكل شيء الآن على ما يرام . وقـــد قابلـ
مستر جارلاند بعد مغادرتى البنك وسلمته المخالصة والوثيقة
الجديدة الخاصة بارجا. الرهينة الثانية . وقد شكرنى .

ثم ضحك . وكانت ضحكته مريرة . وقال :

ــ ليت شعرى هل تراه يصر عـلى هذا الشكر لو ال

عرف الطـــريقة التى انتشلته بها من ورطتـــه . من اجله
استهدفت للخطر وللسجن .. ولكنى لااحسب انهسيشكرنى
اذا عرف الحقيقة .

ثم اردف :

ــ لا يسعنا ان نغادر البرج معا والا لفتنا الانظار . ولا
بد لى من ان استصحب ليفى معى . فاخرج انت اولا ودعنى
اتدبر الامر .

وكان لوبين قد اتخذ العدة لخروج صديقه في رائعة
النهار امام الحارس من الباب العمومى اذ ذكر له انه جاء الى
البرج ومعه صديق له واحد المهندسين .

وكان روجر هو المهندس . اما ليفى فكان الصديق .

ومضى روجر الى الحارس وانبأه انهماض الى لندن ليحضر
بعض الرسومات .

ولكنه كان سيمضى الى غير عودة بطبيعة الحال . عـلى
ان يقابل لوبين فى الساعة السابعة فى داره .

ولكن قبل ان تحل الساعة الموعودة وقعت حـــوادث
جمة .

عندما وصل روجر الى اسفل السلم وطئت قدمهشيئا
لامعا . وانحنى والتقطه . ودسه فى جيبه .

لم يكن روجر قد افاض فى حديثه مع لوبين عن حادث
المسدس حين ظن انه تدحرج الى اسفل السلم فاذا به يجده
لصق يده على رأس السلم ..

قال روجر :

ــ لقد خيل الى انى سمعت صوته وهو يتـــدحرج الى
اسفل السلم فكيف ..

فقال لوبين مقاطعا :

ــ لا شك انك كنت واهما .

وانتهى الامر عند هذا ·

والان ·· وجد روجر « شيئا » على الارض ·· عند اسفل دسه فى جيبه ·· وسار صوب المحطة ·

وفجاة تبددت السحب التى تعلو ذهنه · واستنارت بصيرته ··! لقد قال له لوبين انه كان واهما ، ولكنه لم يكن واهما ، الان عرف الحل ··! عرف التفسير الحقيقى ، هوى المسدس الى اسفل السلم ، ثم اذا به فوق رأس السلم ·

فكيف هذا ؟ وهم ··؟ كلا ·· انه يعرف السر ، انه يعرف السر ··!

واستدار روجر على عقبيه ··!

لم يذهب الى المحطة كما كان ينوى · وانما مضى الى دار قريبة ودفع البوابة ودخل ·

الفصل السابع عشر

كانت الدار التى دخل اليها روجر مشرفة على النهر · وكانت مشيدة على الطراز الفيكتورى والستائر مسدلة على النوافذ تحجب داخلية القاعات ·

كان هذا هو منزل ليدى لورا بلزيس ·

ولكن روجر لم يطلب مقابلة الليدى وانما طلب مقابلة ابنتها مس بلزيس ·

واقتادته الخادمة الى قاعة الاستقبال ·

وفى صدر القاعة راى صورة بالحجم الطبيعى للفتاة · كانت متألقة العينين بادية الجراة ، وفى دقتها ما يدل على قوة الارادة .

وفتح الباب ودخلت مس بلزيس ·

وحين رأت روجر بدت الدهشة فى عينيها ولكنها غالبتها وبدت متماسكة ·

وكانت مرتدية ثوبا للخروج فوق جاكتة من الحرير الازرق ·

ولاحظ روجر ان زرا كبيرا مستديرا ينقص الجاكتة ·

واستهل روجر حديثه بقوله :

ـ قد تدهشك هذه الزيارة يامس بلزيس · وقد ترينها فضولا لا داعى له ، ولكننى جئت لاعيد اليك شيئا يخصك ··!

ومن جيبه اخرج « الشىء » الذى عثر عليه عند اسفل سلم البرج ··!

الزر المفقود من جاكتتها ·

وغمغمت الفتاة تقول :

ـ اين وجدته ·؟

وفى مقدرة تستحق الاعجاب استطاعت ان تخفى ما خالجها من الدهشة ·

ثم اردفت على الفور :

ـ وكيف عرفت انه زرى ؟

وقال روجر مجيبا :

ـ لم اعرف · لم اكن موقنا ·· ولكنى خمنت ··

ـ ولكن اين وجدته ·؟

ـ فى منزل خال لا يبعد كثيرا عن هذه الدار ·

وحبست انفاسها · ونظرت اليه متفرسة ·

وقالت :

ـ مستر روجر · ارجوك ان تعيد الى هذا الزر ·

وقدمه اليها ·· وتبادلا نظرة طويلة ·· وكانت نظرة ناطقة ·

وقال روجر : ـ اذن فقد كنت انت . ؟

فقالت فى برود :

- ومن كنت تظن اذن ؟٠

- ماظننت الا ان المسدس لم يتدحرج الى اسفل السلم ... هذا ما خطر لى فى ذلك الوقت .. حين لمست اصابعى المسدس ... لقد انقذت حياتى .

وبعد سكتة قصيرة قالت الفتاة :

- لقد ظننت انك قتلته .

- كلا لم اقتله .. اطلقت رصاصة فى الهواء ولكنه اعتقد ان الرصاصة اصابته فخلى عنى .

- وهذا ما اعتقدته انا ايضا . لولا ان سمعتك تتحدث اليه . وتنبئه بأنك لم تطلق عليه النار .

وابتسم روجر وقال :

- ومن الغريب انى لم اشعر بقدومك وانصرافك .

- هذا لانى لم اكن اريد ان يشعر بى احد .

- ايكون من الفضول يامس بلزيس ان اسألك عما جاء بك الى البرج ؟٠

فابتسمت وقالت :

- وانت ؟٠ ايكون من الفضول ان اطرح عليك نفس السؤال ؟

فضحك روجر وقال :

- اتحبين ان ابدأ بالاعتراف ؟٠

- لا داعى لذلك .. اننى سيدة . والسيدات يتقدمن الرجال دائما . اليس كذلك ؟٠ فلأبدأ انا الاعتراف اذن .

استهلت مس بلزيس حديثها بقولها :

- انك تعرف ما حدث بعد ظهر ذلك اليوم الذى ارجئت فيه المباراة بسبب المطر . لقد كنت حاضرا فى القصر . ولا شك ان مستر مارش روى لك ما وقع بعد انصرافك .. انها قصة محزنة يا مستر روجر . من البداية حتى النهاية .

ولقد استمع مستر مارش الى القصة صامتا دون ان ينطق بكلمة واحدة .. واخيرا تكلم . لم يزد على ان يقول : ان مستر ليفى صديق له وانه سيخاطبه فى الامر ليرى ما يمكن ان يعمل فى هذا الصدد .

وابتسمت مس بلزيس وقالت :

- ولكنه نطق بهذه الجملة فى لهجة الجلاد الذى يقول انه سيرى ما يمكن ان يفعله بالمحكوم عليه بالاعدام !٠ ولقد كنت طيلة الوقت افكر فيما سمعته من مستر ليفى عن حادث كارلسباد .. ترى الى اية غاية يرمى هذا الوحش بايعازاته وتلميحاته عن مستر مارش ؟٠ ولم يغب عنى بطبيعة الحال ما كان يرمى اليه . ولكنى جعلت اسائل نفسى عما اذا كان صادقا فيما يزعم ؟٠

وارسلت مس بلزيس بصرها الى روجر كأنما تسأله الجواب .

ولاذ هذا بالصمت . لم يفتح فمه بكلمة .

واستهلت كاميلا تقول :

- لست اسألك الاجابة يا مستر روجر ؟ انك بطبيعة الحال تعرف كل شيء عن مستر مارش ولا تغيب عنك اسراره .. ولست الومك اذا انحزت الى صفه فى هذه المسألة .. لقد قلت لى ان هذه المزاعم اذا كانت صحيحة فالامر لا يمكن الا ان يكون مزحة عملية .. وقد اقتنعت بهذه النظرية . او حاولت ان اقنع بها نفسى على الرغم من رؤيتى رجال الشرطة يتعقبونه فى الملعب . والتى الذى ضاعف دهشتى وزاد من ريبتى هو اختفاء مستر مارش فجأة من الملعب .. لقد جاء من كارلسباد ليشهد المباراة خصيصا . فكيف لم يحضر الا الشوط الاول وانصرف مسرعا كأنما يريد أن يتقى خطرا يتهدده !٠ لماذا اختفى . اكان خائفا ؟٠ من ليفى طبعا .

واذا كان في قبضة ليفي فكيف يؤمل من مثله ان ينقذ سواه ؟

وقال روجر مقاطعا :

ـ لو انك كنت على علم بطباع صديقي لما جرى لسانك بهذا القول ان مستر مارش لا يمكن ان يقع في قبضة مخلوق .. اني استطيع ان اقسم على ان في امكانه ان ينتشل اى انسان من اية ورطة مهما اشتدت واستحكمت حلقاتها .

فقالت كاميلا في لهجة صارمة :

ـ وكيف يتم هذا الانتشال .! بعمل تعسفي .؟ هذا ما اخشاه .! في كارلسباد وقع حادث سيء .! وهنا سيقع حادث اسوأ .. وكل هذا من اجل تيدى وابيه .

ولم يكتم روجر عن الفتاة ان مارش رجل وفي مخلص وانه في سبيل اصدقائه لا يمكن ان يتحرج عن شيء .

واستمعت كاميلا الى هذه الكلمات وفي عينيها بريق الاحترام .

وقالت :

ـ ولقد عدت الى الدار يوم السبت عقب المباراة وانا محطمة القلب .

ـ على الرغم من ان تيدى اجاد اللعب فوق ما كان منتظرا .؟

ـ نعم على رغم ذلك اذ ما كان يسعني الا ان افكر في مستر مارش لقد احزنني امره .. ورحت اسائل نفسي عما اصابه .. ترى اين هو ؟ وفي اى مكان اختفى .؟ وفي يوم الاحد رايته في قارب في النهر .

ـ انه لم ينبئني بذلك ؟

ـ هذا لانه لم يعرف اني عرفته .. كان متنكرا في زى الصيادين . ولكني عرفته على رغم تنكره .

ـ وهل كاشفته بذلك يا مس بلزيس .؟

ـ كاشفته .؟ اني لم اتحدث اليه .. ما شأني انا اذا كان متنكرا او غير متنكر .؟ ولقد رأيته يقترب من حديقة مستر ليفي .. واذ كان المكان خاليا رأيته يصعد الى المرسى ويفحص المكان .. فلماذا اقدم على هذا .؟ الى اية غاية يرمي؟ وما الذى يدعوه الى التنكر .؟ جالت هذه الاسئلة في ذهني . وذكرت الحادث الذى وقع في كارلسباد وقلت في نفسي : اني اتوقع ان يقع حادث مماثل لذلك الذى جرى في كارلاسباد فهل تراني اخطأ فيما ذهبت اليه ؟

ولم يجب روجر على هذا السؤال وانما قال :

ـ وبعد .؟ .

ـ وبعد فقد اكتظ ذهني بعشرات من الاسئلة .. ماذا ينبغي لي ان افعل في هذه الحال .؟ اينبغي ان اتدخل .؟ وهل هذا من شأني . وهل يجب ان افعل كذا .؟ وافعل كذا .؟ عشرات من الاسئلة تتوثب الى رأسي .. وعشرات من الاجوبة المتناقضة الملتوية .! وآثرت ان انتظر ولم ار وجه مستر مارش طيلة النهار .. ولم اره في الليل .. ولم اسمع صوتا مريبا .. وكذلك النهار التالى .. وايقنت ان لا بد من حدوث شيء في الليل ، مرت ليلة ونهار ان لم يقع فيها اى حادث فلابد اذن من وقوع شيء في الليلة التالية .. وكنت اعلم ان المهلة التي منحت لمستر جارلاند اوشكت ان تنقضي فلا بد من العمل الحازم السريع .! لا بد ان يعمل مستر مارش شيئا في تلك الليلة .. والح على الفضول .! اردت ان اعرف ما ينوى ان يفعل .. كان هذا مني فضولا ولكني لم استطع ان انفض عني هذا الفضول .

وقال روجر مؤمنا :

ـ اني اعلم انه لم تكن لك من غاية الا الفضول .

واسترسلت الفتاة تقول :

— ولم اذهب الى فراشى فى الليلة المـاضية .. كنت اخشى ان يغلبنى النوم .. وآثرت ان استقل قاربى واطوف به النهر ذهابا وايابا ، وكنت ارجو ان ارى شيئا او اسمع شيئا .. نعم ؟! اقلت شيئا ..

فقال روجر :

— كلا .. انى لم اتكلم .

— ولكن وجهك ناطق .!

— استمرى فى حديثك من فضلك .

— وما الفائدة اذا كنت تعلم ما ساقول .؟

ولقد اصابت فى هذا كان روجر على علم بما ستقول . ولكنه الح عليها بأن تمضى فى روايتها ، نعم ، انهـــا هى « الشخص » الذى كان فى القارب الذى مرق على مقربة من دار ليفي وهو ملقى على الشاطىء بلا حراك قبل ان ينقل الى البرج .. نعم .. وهى ايضا التى مرت بالقرب من البرج اذ كان لوبين وروجر منهمكين فى نقل ليفى اليه .

ارأتهم ؟! نعم ، لقد رأتهم .! لقد كانت تبحث عنهم ، ولقد سمعت صوت روجر ، وصوت مارش ، وعرفتهما .. ولكن الليل كان حالك الظلام فلم تتبين ما كانا يفعلان .

ولقد خطر لها في اول الامر أنهما قتلا ليفى وحملاه الى البرج المهجورولكنها استبعدت هذا الخاطر، ان مسترمارش ليس بالرجل الذى يقدم على جريمة قتل .! وانت ايضـــا لا يمكن ان تقتل .

وفي اليوم التالى استفسرت عن مستر ليفى فعلمت انه تغيب فجأة وانهم يرجحون انه سافر .

واستبد بها الفضول ، يجب أن تعرف ما يجرى داخل البرج .

وفي غير تردد استقلت قاربها ومضـــت به الى المرسى فشدته اليه وعبرت المرج .

بلغت البرج ففتحت بابه ودخلت .. كانت تسير فى خطوات خفيفة غير مسموعة .. وكان الصوت الذى سمعه دانيل ليفى هو وقع خطواتها ذلك الصوت الذى كان سببا فى هذه المعركة الدامية التى نشبت بينه وبين روجر .

وفى اثناء المعركة سقط المسدس عند قدميها . وبعد لحظات رات الرجلين يخرجان الى رأس الدرج وهما ما زالا متشابكين .

ورات ليفى قابضا على عنق روجر يكاد يخنقه . وفى غير تردد .. ودون ان تدرى ما هى صانعة ، تناولت المسدس ووضعته عند يد روجر .

قالت :

— ولكن حين سمعت دوى الرصاص ادركنى الندم وعرفت انى كنت القاتلة .! وللمرة الثانية اسات الظن بك .

وراح روجر ينظر اليها فى اعجاب ، يا لها من فتاة ، جراة ، وجسارة وذكاء ، وحضور ذهن .! والله ان مثل هذه الفتاة لا تصلح الا لرجل من طراز ارسين لوبين .. ومع ذلك فبينهما حاجز قائم .

وقالت كاميلا وقد شيعته الى باب الحديقة :

— ولكن ارجوك يا مستر روجر ان تكتم كل ما حدثتك به ..

فقال فى لهجة المأخوذ :

— اتعنين مغامراتك اليوم وبالامس .؟

— نعم .. اياك ان يجرى لسانك بحرف واحد من هذا الحديث الذى دار بيننا والا ندمت على ان اتخذتك موضــع سرى .

وقال روجر :
ـ اطمئني ٠ لن احدث احدا بما سمعت منك ٠٠ الا طبعا ٠٠ واظنك لا تمانعين في هذا ٠٠
ـ الا من ؟٠
ـ مستر مارش ٠
فهتفت وقد تألقت عيناها :
ـ بل اني ماقصدت الا ان اكتم الامر عن مستر مارش ٠ ! ينبغي ان يكون مستر مارش آخر مخلوق في هذه الدنيـــا يتصل به هذه النبأ ٠
وهز روجر رأسه دهشا وقال :
ـ كيف هذا ٠؟ الا تحبين ان يعلم ان الفضل انما يعود اليك في انقاذي من هذا المأزق الحرج ٠؟ بل انقاذه هو ايضا فلو ان ليفي استطاع الفرار لساءت الامور بالنسبة الى مستر مارش !
كان روجر متلهفا الى ان يروى هذه القصة لارسين لوبين ٠٠ وكان يعلم انها قصة جديرة بأن تثير اعجابه بالفتاة ٠
وقالت كاميلا :
ـ مستر روجر ٠٠ هذه الحكاية سري الخاص وما كنت لاكاشفك به لولا ان الاقدار قضت بهذا ٠٠ سقط مني زر وانا في البرج فعثرت انت عليه واكتشفت الحقيقة ٠ فلولا هذا ٠٠ لولا هذا التدبير الذي فرضته الاقدار لما افضيت اليك بكلمة واحدة مما سمعت . فارجوك ان تكتم سري ٠
واساءت هذه الكلمات الى روجر ٠٠ ظن انه ظفر بمودة الفتاة فاتخذته امينا لسرها ٠٠ ولكن ها هي ذي تصارحه في غير خفاء بأنها ما كانت لتفضي اليه بكلمة واحـــدة لولا ان اكرهتها الاقدار على ذلك ٠
وقال روجر :

ـ لقد كاشفتني بسرك ونحن في ملعب لورد ومع ذلك فقد كتمت الامر ولم ابح به لاحد على الاطلاق ٠
فقالت تسأله وفي صوتها نبرة استغراب :
ـ حتى ولا لمستر مارش ٠؟
ـ حتى ولا لمستر مارش ٠! لقد حذرته من مراقبيه ولكني لم اقل له من اين استقيت النبأ ٠ وما سألني هو في ذلك ٠
وتفرست فيه كاميلا برهة ثم بسطت اليه يدها قائلة :
ـ وينبغي ان لا يعرف شيئا من هذا ايضا ٠! وارجوك ان تصفح عني اذا لم اكاشفك بعد هذا بشيء من اسراري ٠
فقال روجر وقد احمر وجهه :
ـ سأغتفر لك كل شيء يا مس بلزيس الا مقتك لصديقي فرانك . !
نطق روجر بهذه الكلمات في صوت تنم نبراته عــلى الاخلاص ٠ وكان قد استبقى يدها في يده ٠ ولكنها سحبت يدها على عجل ٠
وفي صوت غريب النبرات قالت :
ـ اني لا امقته ٠!
وعلى عجل اردفت تقول مستدركة :
ـ ولست اميل اليه ايضا ٠!
وعلى غير انتظار دارت على عقبيها وارتدت راجعــــة الى البيت ٠
ولم ير روجر عينيها ٠٠ ولم يستطع ان يدرك البواعث التي دفعتها الى اقتضاب الحديث بهذا الشكل ٠
وسار الى المحطة وهو يفكر في الفتاة ٠
واذ كان واقفا على الافريز في انتظار القطار المسافر الى لندن وصل القطار القادم من لندن ٠

ومنه هبط شخص عرفه روجر على الفور .. انه ذلك الشرطى الاسكتلندى المدعو ماكنزى والذى اعتـــاد ان يهتم بحركات مارش .

ذهل روجر . ما كان ينتظر من لوبين ان يفعله فى مثل هذا الموقف ؟

سار ماكنزى . وسمعه يقول للحوذى :

ـ اتعرف بيت مستر ليفى ..

ـ نعم ..

انطلق اليه اذن .. واسرع .. الهب الخيل بسوطك !

الفصل الثامن عشر

حار روجر فيما ينبغى ان يصتع ..

لو ان لوبين مكانه لارتد على الفور الى دار ليفى ولتحدى المرابى فى استخفاف وتهكم ان يبلغ امره الى ماكنزى . نعم . فلوبين لا يجهل حقيقة مركزه ولا يجهل ان فى وســـعه ان يتحدى خصومه دون ان يخشى نقمة منهم .

ولكن روجرلم يكن ارسين لوبين . ولا يمكن ان يكونه .!

ارسل روجر بصره الى الساعة المعلقة فى فناء المحطة . ياالله . ان موعده مع لوبين الساعة السابعة وهاهى ذى قد اشرفت على السابعة .! لقد اخذه الحديث الذى دار بينه وبين كاميلا وغلبه على امره فلم يدر كيف مر الوقت سريعا بهذا الشكل . انه لن يصل الى الدار اذن الا متخلفا ســـاعة عن موعده .

ووثب الى القطار . ومن القطار وثب الى المركبة . ومن المركبة وثب الى السلم يرتقى درجه قفزا .

وتلقاه لوبين على باب القاعة وابتدره بقوله :

ـ ماذا دهاك يا روجر . ولماذا ابطات .؟ لقد حسبتك ميتا .!

وكان فى لهجته عاتبا . وكان مرتديا ثيابه وفى وسط الغرفة حقائب السفر مهيأة وان لم يغلقها بعد . وفى كلمات وجيزة قص عليه روجر ما كان من امر ماكنزى .

ثم اردف يقول :

ـ ماذا ؟ اتنوى ان تسافر .؟

ـ طبعا . وهل من الحكمه البقاء بعد ما رويته لى عن ماكنزى .؟

ـ ولكنك كنت تتهيأ للرحيل حتى قبل ان تعرف حكاية ماكنزى .

فصاح فى صوت فيه نبرة من الغضب :

ـ اذن اسرع بالله عليك وجهز حقائبك ولا تطرح على اى سؤال الآن لقد جمعت لك فى حقيبتى من الثياب ما يكفينا نحن الاثنين اما وقد حضرت فهيا استقل مركبة واسرع الى دارك وقابلنا فى تمام الساعة التاسعة فى المحطة .

ـ اية محطة يا لوبين ؟

ـ شيرنج كروس طبعا . قطار دوفر .

فقال روجر وقد اشتد استغرابه :

ـ يا للشيطان . الى اى مكان تنوى ان تسافر .؟

ـ استراليا . البرازيل . هذه مسألة يمكن ان نتباحث فيها ونحن فى القـــطار . كل ما يعنينى هو ان نفر باسرع ما يمكن .

ـ نفر . نفر . ما الذى جرى حتى يحملك الامر على الفرار .

فتنهد لوبين فى يأس وقال :

ـ روجر . اسمع . اغرب عن وجهى واحزم حقائبك !

واخذ يدفعه ناحية الباب :

ـ انسيت انه كان ينبغي ان تحضر الى لقائي منذ ساعة ؟! تخلفت عن الموعد ثم تريد مني الان ان اضيع وقتا جديدا في الايضاحات والتفسيرات . بالله عليك اطرح جانبا هذه الاسئلة السخيفة واعتصم بالصبر . ففي القطار سأفضي اليك بكل شيء .

ووضع يده على كتفه في رفق وفي صوت مختلف النبرات . صوت عطوف رقيق قال :

ـ روجر . ارجوك ان تسرع !

وامام هذه النبرات الراجية المتوسلة لم يتردد روجر في الاسراع .

وفي تمام الساعة التاسعة التقى الرجلان على رصيف المحطة . وطار بهما القطار صوب دوفر وقد احتجزا لنفسيهما ديوانا خاصا .

واخرج روجر من حقيبة معه بعض قطع من السندوتش وقال يخاطب صاحبه :

ـ الا تأكل ؟!

وفي استخفاف هز لوبين كتفيه :

آكل . اتحسبني ارضى بأن التهم هذا السندوتش . لو انك حضرت في الساعة السابعة يا صديقي لوجدتني قد هيأت لك مائدة عليها اطيب الالوان .. ولكنك تخلف فكان جزاؤك ان تحرم من الطعام .

ـ اذن فقد اكلت انت ؟

فهز رأسه نفيا وقال :

ـ اكلت ؟ كلا كنت افكر فيك . كنت اخشى ان يكون قد لحق بك السوء .

ـ اذن عليك بالسندوتش .

ـ كلا يا صاح .. ان السندوتش يذكرني بوجه نيفي الدميم وما كان بيننا وبينه في البرج .. ولست اريد ان اذكر هذه المغامرة .. اريد ان انسى .

وذكرت هذه الكلمات روجر بما كان ينبغي ان يسأل عنه .. ترى ما الذي جرى في البرج بعد انصرافه ؟! اي شيء خطير وقع فدعا لوبين الى هذا الفرار السريع ؟ ما السر في هذا الهرب ! ما الذي جرى . ؟ ما الذي جرى .. تكلم .

وعلى هذه الاسئلة اجاب لوبين في هدوء :

ـ لم يجر شيء !

ولم ترض هذه الاجابة روجر . وعاد يلح بالسؤال :

ـ لم يجر شيء بطبيعة الحال .. لم يكن في وسعي ان اغادر البرج معك درءا للشبهات .

ـ ولكن خيل الى ان لك غرضا اخر من البقاء .

ـ هذا صحيح ..

ـ اي غرض ؟!

ـ طلبت اليه ان يوقع وثيقة جديدة .

ـ اية وثيقة ؟!

ـ اعتراف بما جرى بيننا .. اعتراف بالمهمة التي عهد بها الي بسرقة الخطاب والجزاء الذي اتفقنا عليه .. يمكنك ان تسمي هذه الوثيقة ايصالا عن الخطاب الذي اختطفه من يدي واحرقه .

ـ وهل رضي ان يوقعها !

ـ امتنع اول الامر ولكنه رضي مكرها .. وكان ينبغي ان افعل هذا ضمانا لسلامتنا .

فقال روجر :

ـ سلامتنا مضمونة ومع ذلك نهيم على وجوهنا هاربين

كان في اثرنا عشرات من رجال الشرطة ٠٠! الا يبدو هذا في رايك غريبا متناقضا ؟

وهز لوبين كتفيه وقال :

ـ في كثير من الاحيان احمد فيك نعمة الذكاء اما الان فاتمنى لو انى حمدت فيك نعمة الغباء ٠! الا تريد ان تقتنع بما اقول ٠! نعم ان الوثيقة معنا وهي تضمن سلامتنا لانها سترغم ليفي على الكتمان ٠ ولكن في وسعه وهو الماكر الخبيث ان يمسك لسانه عن الماضي على ان يتحدث عن المستقبل ٠ في وسعه ان يطلق في اثرنا ماكنزي ويعهد اليه بمراقبتنا . فهل تريد مني ان ابقى في بلد اراقب فيها ٠؟ ان ليفي يا صاح رجل لا يؤمن جانبه فمن الحكمة ان نرحل الى اقصى البلاد ونظل فيها حتى تهدأ ثورة نفسه . واذا ما عدنا كان في السجن بسبب القضية المرفوعة ضده ٠ فهناك عشرات من الادلة خلاف الخطاب المحترق . الرحيل هو السلامة الوحيدة يا روجر ٠! الست مقتنعا ٠؟

ولكن روجر لم يكن مقتنعا ٠٠ وهذا الكلام لم يقنع احدا ٠ عهده بلوبين انه رجل حجة ومنطق ٠ فما السر في هذه الكلمات المفككة ٠؟ اذا كان ليفي قد افضى الى ماكنزي بشكوكه وحثه على مراقبتهما فستقع هذه المراقبة حتما عاجلا او آجلا ٠٠ حتى ولو امتدت رحلتهما ٠

قال روجر : ومع ذلك فلماذا لم تنبئني من قبل بأنك تنوى السفر ٠؟

ـ هذا لان هذه الفكرة لم تخطر ببالي الا وانا في البنك اصرف الشيك ٠ لقد ذكرت اني قابلت صديقا في البنك وقد يشي بي هذا الصديق ٠٠ وقد ٠٠ آه ٠ لو انك حضرت مبكرا يا روجر لذكرت لك كل شيء ٠٠ نعم لا بد من الرحيل ٠ الا تثق بي ؟ .

ـ اثق طبعا ... ولكني ...

ولكن هذه الحجج التي يبديها لوبين تبدو مفككة واهية ٠٠ معه خطاب برغم ليفي على الكتمان ومع ذلك يفر هاربا ٠٠ فلماذا ٠؟ حتى ينفي المراقبة ٠ ولكنه سيعود ٠٠ وبمجرد عودته تبدأ المراقبة من جديد فما جدوى هذا الفرار اذن ٠؟

ـ كلا يا عزيزي ٠٠ ان في نفسك شيئا ٠٠ انك تخفى دوني امرا ليست هذه هي الحقيقة ٠٠ الاسباب التي تبديها ليست هي التي حفزتك الى السفر ٠ انك لا تهرب من ليفي ٠٠ ولا بسبب ليفي ٠٠ انك تهرب من شخص اخر وبسبب اخر ٠

واعترف لوبين بان روجر قد اصاب وان هذا صحيح ٠ ثم لاذ بالصمت ٠

ولكن روجر لم يرحمه ، وراح يلقى عليه السؤال تلو السؤال ٠

ـ ما السر اذن ٠؟ ما سبب هذا الفرار الفجائي ٠! تكلم ٠ الا تريد ان تكاشفني بما في نفسك ؟ انك ٠٠

فقال لوبين مقاطعا وهو يتنهد :

ـ لك الله يا روجر ٠ انك لحوح لا تطاق ٠

ونحى الصحيفة التي كان يعبث بها واستلقى :

ـ الم تدرك ان هذه المجازفة ما كانت لتليق بي ٠ ان فيها ابتزازا للمال كما قلت انت ٠ وليس هذا من عادتي ٠ ولهذا اردت ان ارحل الى تونس لقد ناضلت في سبيل قوم احبهم ٠ والست احب ان ابقى لاسمع كلمات الشكر منهم ٠ لو اني انقذتهم بشرف وامانة لتقبلت شكرهم في ابتهاج اما وقد انقذتهم بعمل دنيء وضيع فلست احب ان اسمع كلمة شكر واحدة ان في هذا ما يرهق اعصابي ٠ ومن اجل هذا سافرت ٠

كان هذا تعليلا اخر غير مستساغ ٠

ولكنه نطق بهذه الكلمات في صوت رقيق ٠ وخيل الى روجر انه قرأ في عيني لوبين معنى الندم لقد بدا يندم على هذه الاكاذيب الصارخة التى القاها الى روجر ٠

واغتنم روجر هذه الفرصة ٠ وراح يسأله من جديد :

ـ يلوح لى ان جارلاند اغرقك بمديحه وثنائه ٠ ؟

ـ هوذاك يا روجر . وعاد يحملني باغراقه والثناء على ان اصيح به كفي يا رجل ٠ لو انك علمت كيف انقذتك لطردتني من دارك ٠

ـ وغدا يشكرك تيدي ٠ ومس بلزيس ايضا ٠

ـ ومن اجل هذا سأرحل ٠ لم يكن تيدي موجودا في البيت ٠ انه في اسكتلندا للاشتراك في احدى المباريات ٠ ولكنه سيعود غدا ٠ وفي صراحة ليس في وسعي ان اقابل مس بلزيس ٠ وسيتم زواجهما عاجلا ٠

فقال روجر : ايمثل هذه السرعة يتزوجان ؟

وفي لهجة غريبة قال لوبين : من الخير ان يعجلا بالزواج

وارسل روجر نظرة فاحصة الى لوبين ٠ وفي ثنايا وجهه وجد معنى خفيا . تنطق به عيناه وتنطق به هذه النظرة الشاردة المبهمة ٠

وقال روجر :

ـ يلوح لى انك غير راض عن هذا الزواج ٠ ولست سعيدا به ٠

ومر بشفتيه طيف ابتسامة وقال : انى سعيد ما داما هما سعيدين ٠

ثم هز كتفيه واردف :

ـ على انى كنت اتمنى شيئا واحدا ٠ كنت اتمنى ان يكونا متكافئين ٠

ـ اذن فأنت تعتقد انهما ليسا متكافئين ٠؟

ـ طبعا ٠ وهذا امر جلي ٠

ـ يلوح لى ان لك في تيدى رأيا عاليا ٠؟

ـ انى احب هذا الغلام يا روجر ٠ انه جدير بأن يحب

ـ ولكنك تتعامى عن اخطائه وعيوبه ٠

ـ هذا غير صحيح ٠ انى اعرف نواحي الضعف فيه ٠ هما يكن من الامر فهي اخطاء هينة يمكن ان تغتفر ٠ اذا يست الى عيوبي واخطائي مثلا ٠

فقال روجر : اذن فأنت تعتقد ان كاميلا ليست اهلا ه ٠؟

ـ ليست اهلا له ٠ ؟ كاميلا ٠؟

ولكنه امسك ٠!

نطق هذه الكلمات في صوت شبيه بالصرخة الداوية ٠ صرخة التى انطلقت من القلب لا تحد منها تقاليد او تكلف لم يتم جملته ٠ ولم يكاشف روجر بالكلمات التى كادت تتناثر من لسانه اختنقت الكلمات على شفتيه ٠ ولكن صرخته الداوية ونبرات صوته ونظرات عينيه ٠ في هذا كله كانت الحقيقة تزأر وتنادى ٠

وانجابت الغشاوة عن عينى روجر ٠٠ وبدأ يفهم ٠

قال لوبين : اى شيطان بعث هذه الفكرة في دماغك ٠؟

فهز روجر كتفيه وقال : لقد خيل الى ان هذا هو رأيك ٠؟

ـ رأيى انا ٠؟ ولماذا ٠؟

ـ لاح لى انك غير راض عن خطبتهما ٠

ـ هذا صحيح ٠٠ لست راضيا عن خطبتهما بسبب الاعمال التى تورط فيها تيدى ٠٠ الاسراف والديون ٠٠ اسمع يا روجر ٠٠ لا داعى للكتمان الان ٠٠ سأفضى اليك

بالحقيقة كلها . ليس من الانصاف ان يتورط فى الديو
ويولع بالقمار الشاب الذى سيتزوج كاميلا بلزيس .

— ومع ذلك فانت الذى توليت ازالة العراقيل من طريق هذا الزواج اعنى بتدخلك فى مسألة ليفى ؟

ولم يجب لوبين على هذا السؤال .

نشر الصحيفة امامه وراح ينظر فيها ، وكان جليا ان لا يقرأ حرفا واحدا . وانما كان يحاول ان يخفى ما يجول فى خاطره .

وبعد لحظات قال :

— ان تيدى ولد طيب . وانا موقن من انه لن يعود ا هذه الفعلة مرة اخرى .. لقد تلقى درسا لا ينسى وكان ل مما حدث عظة ارجو ان تنفعه مدى الحياة .. وثمة مسألة اخرى ! انا الذى جمعت بينهما فليس من شأنى ان اباعد بينهما .

فقال روجر فى استغراب : انت الذى جمعت بينهما .!

— نعم .. انا الذى قدمت كاميلا الى تيدى .. فى اسبوع من اسابيع الكريكيت . فتوثقت بينهما عرى المودة واصبحا اليفين ولكن مودتها لى كانت اكبر واعظم .. وكانت الالفة بيننا اشد واقوى .. كانت قريبة من درجة الحب .

فصاح روجر : ومع ذلك لم تقاطعه وتخاصمه .؟

فهز رأسه وقال : انى لا اتمنى يا عزيزى روجر الا ان تظل العلاقات بينى وبين تيدى وثيقة راسخة .

— ولكنه سلبك صديقتك .! ومع ذلك فقد كان فى وسعك ان تظفر بقلبها دونه .! اتريد ان تقول انك يمكن ان تهزم امام شخص من طراز تيدى .. انى لا استطيع ان اصدق هذا .

ومن جديد راح لوبين يعبث بالصحيفة التى بين يديه

وبعد لحظات قال :

— انك تنظر الى المسألة من ناحية اخرى .! تيدى ار
تيدى . لم يكن لى مفر من الهزيمة ، ماذا .؟ كنت تريد
ان اتزوج كاميلا بلزيس .! يا لله .. ارسين لوبين
وج مس بلزيس .. ما هذا الهراء.؟ وكيف اكون احبها
ا اهوى بها الى هذا الدرك الوضيع .؟ فتاة تنحدر من
رة عريقة فى النبل تتزوج لصا .! واى لص .؟ كان يجب
افر منها . كان يجب ان اسعى الى الهزيمة حتى ولو لم
هر تيدى فى الميدان ! ان من كان مثلى لا يمكن ان يتزوج
اة مثلها ..! اننى .. اننى لص .

وساد السكون ، ثم قال روجر فى صوت خافت كأنما
اطب نفسه :

— لقد وددت والله لو انك تزوجتها .

فصاح لوبين : ولماذا .؟

— انها الفتاة الوحيدة التى تصلح لك فى هذا العالم !
جرائك وحضور بديهتك ، وطباعك .

— وكيف عرفت هذا .؟

وذكر روجر وعده للفتاة ، لقد وعدها بأن يكتم عن
بين كل ما دار بينهما من حديث .

قال : انسيت انى التقيت بها فى قصر جارلاند وفى
عب لورد ؟

وساد الصمت ثم قال لوبين : اتحدثت عنى اليك ؟

— قليلا .

— هل استفسرت منك عنى ؟

— ايه .. قليلا .

فابتسم لوبين وقال :

— هذا معناه انها طرحت عليك عشرات من الاسئلة ..

ارادت ان تعرف كل شيء عني .. اسمع يا روجر .. لم يكن في وسعي ان اثابر على هذا الحب .. انه حب بلا رجاء .. حب يائس شقي منكود .. غرام بين لص وامرأة شريفة .. فكيف توفق بينهما ؟! انك تعرفني فهل كنت تعتقد اني ارضى ان ادنس هذه الزهرة النضرة الطاهرة .! كنت اذا تحدثت اليها خيل الى ان انفاسي لوثتها .. واذا لمست يدها ايقنت اني دنستها .. انها تعيش في جو من الطهارة وحولها هالة من النور .. فاقترابي منها يدنسها .. فيه رجس وآثام .! وكان ينبغي ان ابتعد .. كان ينبغي ان اقيم بيني وبينها سدا .! نعم .. اني احبها وهي تحبني ولكني حاولت ان اقتل هذا الحب ..! طلبت منها ان تكتب الي خطابا .. وقد كتبت .. وبثتني في رسالتها عواطفها .. ثم ترقبت جوابي ولكنني لم ارسل جوابا . ووعدتها بان أزورها في دارها قبل سفري الى كارلسباد . ولكني لم ازرها .. اكتفيت بأن ارسلت اليها برقية اعتذر فيها عن الحضور .. نعم .. تعمدت يا روجر ان ارتكب من الهفوات ما ينفر قلبها مني .. وما فعلت ذلك من اجل تيدي وانما فعلته من اجلها هي .! لكي اباعد بينها وبين لص .! حاولت ان اقتل في قلبها غرامها بلص وضيع .؟ واحسبني قد افلحت .! فعند عودتي من كارلسباد لاحظت ان العلاقات بينها وبين تيدي كانت وثيقة .. وقد اسعدني هذا .. اسعدني ان اراها قد نسيتني .! ولكن يظهر اني كنت مخدوعا . فعندما راح ليفي يتهمني بأنني سارق القلادة رأيتها تنظر الى ليفي نظرة يتطاير منها الشرر .. ثم رأيتها تنظر الى نظرة تفيض عطفا وحنانا .. وحبا .. كانت لاتزال تحبني .. ولقد ارادت ان تكتم دوني هذه النظرة ولكني

رأيتها .! وفي اعماق قلبي نقشت هذه النظرة .. نظرة الحب ونظرة الوداع .!

وراح لوبين يرسل بصره من النافذة .. متشاغلا .

وتمنى روجر لو استطاع ان يكاشفه بما يعلم .. تمنى ان يصارحه بأن كاميلا لا زالت مقيمة على حبه .. لا زالت تفكر فيه .. ولكنه ذكر وعده بالكتمان .. وبر بوعده !

وتنهد روجر وقال : انك ما خلقت الا لها .. وما خلقت الا لك .!

فضحك لوبين وقال .. ومن أجلها يجب أن أبتعد عنها .. يجب أن أفر بعيدا .. علني أنسى .. وعندما نعود من هذه الرحلة سأكون قد نسيت .. أرجو ان اكون قد نسيت .. ونشر الصحيفة أمامه وراح يقرأ .

وفجأة قطب جبينه .

وقال روجر : ماذا جرى يا فرانك .؟

وبسط يده بالصحيفة الى روجر .

وفي صدرها قرأ روجر عنوانا مكتوبا بحروف كبيرة :

« مصرع مراب شهير »

وتحت العنوان هذه الكلمات :

« في الساعة الخامسة من بعد ظهر الأمس قتل مستر دانيل ليفي بطلق ناري وهو واقف عند بوابة حديقته في فيلاتيمس وقد فر القاتل هاربا ولا زالت شخصيته مجهولة »

وأرسل روجر بصره الى لوبين مستفسرا .

وقال هذا : وفي الساعة الخامسة تركت ليفي .. تركته ..

وهم بأن يقول : « جثة هامدة » ولكن لسانه لم يطاوعه .

وأدرك لوبين ما جال فى خاطره فقال :

– بل تركته على قيد الحياة ٠ ! اتظن يا روجر ان من المعقول ان اتركه ميتا على باب داره ٠ ؟

وانكر روجر ان هذا الخاطر جال بذهنه ٠٠ وان كان الواقع ان الهواجس الحت عليه من كل ناحية ٠٠ ما يدري ان لوبين هو الذى قتل ليفى ٠ ؟ ربما ابى هذا ان يوقع الوثيقة فى اول الأمر فضربه ضربة قاتلة وربما تحرش به فقتله ٠٠ وربما ٠٠

وهذا الفرار ٠ ؟ السريع المفاجىء ٠ ؟ ما السر فيه الا يجوز ان تكون هذه الجريمة هى سر هذا الهرب ٠ ولكنه حين تحدث عن كاميلا كان جليا ان فى نبرات صوته اخلاصا وصدقا ٠٠ كلا ٠٠ انه ما هرب الا ليبتعد وينسى ٠

– ولكن ماذا كنت تفعل عند البوابة ؟

– كنت اشيعه وكانت داره فى طريقى فسرنا معا ٠

– وقد ودعته فى تمام الساعة الخامسة ٠ ؟

– فى تمام الساعة الخامسة لأنى نظرت فى ساعتى فوجدت انه لم يبق على موعد القطار الا سبع دقائق ٠

– الم تسمع دوى الطلق النارى ٠ ؟

– كلا ٠٠ لقد كنت مسرعا ٠ بل كنت اجرى فى الواقع لكيلا يفوتنى القطار ٠ الحق انى الآن فى مأزق حرج ٠ لقد رآنى كثيرون وانا اجرى ٠ فليس غريبا ان تتجه الى الشبهات اذن فهذا هو السر فى استدعاء ما كنزى الى الدار ٠ وما يدريك أن ماكنزى الآن يبحث عنى ٠٠ الفرار ٠٠ الفرار ٠

– ولماذ اتفر وانت برىء ٠ ؟

– ولكنها براءة مشوبة بالشبهات ٠٠ أنسيت ماجرى بيننا وبين ليفى فى خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ٠

– لم انس طبعا ٠ ولكننا سنكتم ما حدث ٠ !

– وسوانا ٠ ؟ والقرائن ٠ ! ان الأمر لا يلبث ان ينكشف ٠ !

لا مفر من ذلك ٠ اصابته الرصاصة فصرعته ٠ وفى نفس الوقت شوهدت اجرى بمل، سرعتى ٠ هذه قرينة واقعة ٠ وحكاية كارلسباد ٠ وحكاية الشيك الذى صرف بالأمس ٠ الم اذكر لك انى قابلت صديقا يعرفنى ويعرف الضابط الذى تنكرت على صورته ٠ ؟ ووجودى فى البرج معه ٠ ان الحارس يعرف ذلك فقد قابلناه عند انصرافنا ٠٠٠ كلا يا صاح ٠ لو انهم قبضوا على لكان فى ذلك الشنق حتما

– ولكننى ارى ان تعود لتثبت براءتك ٠ حاول ان تكشف القاتل الحقيقى ٠

– هذا ما سأفعله ٠ ولكن ليس الآن ٠ انى اعتقد ان القاتل هو سكرتير ليفى المطرود ٠ وسأبعث الى ما كنزى خطابا فى هذا الصدد اطلب فيه مراقبة السكرتير واستجوابه ٠ انك لم تنس طبعا اننا قابلناه يحوم فى حديقة ليفى ٠٠ وقد ذكر ليفى انه هدده وتوعده بالموت ٠ والآن عليك ان تغادر القطار فى اول محطة يا روجر فانهم ٠٠

– انى معك الى النهاية ٠

– ولكنك ستضع نفسك موضع الشبهات ٠ ؟

– فليكن ٠٠ لست ابالى

– ايه ٠ ! ما اشد عنادك ٠ ! فلنتنكر اذن ٠

واغلق لوبين باب الصالون واخرج من حقيبته ادوات التنكر ٠ وبعد خمس دقائق كان فى الصالون رجلان يختلفان اختلافا تاما عن الرجلين اللذين كانا فيه منذ برهة وجيزة ٠ وقال لوبين :

– لقد اتخذت فى تنكرى هيئة اللوردات ٠ اما انت فيمكن ان تعتبر سكرتيرا لى ٠

والواقع أن لوبين كان يبدو فى هذه اللحظة لوردا عظيم المكانة

واسترسل لوبين يقول :

– ها قد اشرفنا على دوفر . وبعد دقائق نكون فى طريقنا الى الباخرة .

واقترب من النافذة وابرز راسه منها ثم ارتد الى الداخل مسرعا وقال : يلوح لى يا عزيزى روجر اننا لن نصل الى دوفر مطلقا .

– ولماذا ؟ .

– لقد رأيت رأسا يطل من نافذة الصالون المجاورة .

فصاح روجر : من .. ماكنزى ؟ ..

– هو بعينه . !

– يا لله . ! هل اهتدى الى اثرنا بهذه السرعة . ؟

– من يدرى . ! ربما كان مسافرا الى دوفر لمراقبة الميناء .

– الا تبا له . ! اتظن انه رآك .

– كلا لحسن الحظ . ومع ذلك فلا اهمية للامر مادمنا متنكرين

وبلغ القطار محطة دوفر .

وما كاد يهدىء من سرعته حتى وثب منه ماكنزى .

وكان فى انتظاره شرطى يحمل برقية فتناولها وفضها ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة الارتياح .

وهبط لوبين من القطار .

وفى جراة نادرة اقترب من ماكنزى ثم غمغم يقول :

– من أرى . ؟ الست انت المفتش ماكنزى بطل قضية جواهر الليدى والنجتون ؟

فقال ماكنزى :

– اننى المفتش ماكنزى يا سيدى اللورد .

– انك رجل عظيم . ! لا شك انك هنا بشأن قضية المرابى ليفى ؟

– هو ذاك يا سيدى اللورد

– ارجو لك التوفيق اذن

وسار لوبين فى طريقه وفى اثره « سكرتيره » وكان روجر واجف القلب فزعا .. ما هذه الجرأة . ؟ ايذهب الى ماكنزى ويتحدث اليه ؟ الا يخشى ان يكتشف تنكره . !

وفجأة لحق ماكنزى بلوبين .

وامتقع وجه روجر . لقد وقعت النكبة

وابرز ماكنزى البرقية التى كانت فى جيبه واراها للوبين .

ترى ما معنى هذا . ! أفى هذه البرقية اوصاف القاتل الهارب وهذه الاوصاف تنطبق على لوبين . وقد اكتشف ماكنزى انه تنكر .. لا مفر اذن من الاعتقال .. لقد اقدم لوبين على حماقة لا تغتفر !

وعلى غير انتظار طوى المفتش ماكنزى البرقية وردها الى جيبه وعاد الى مكانه . وترك لوبين حرا طليقا !

وفى الباخرة قال روجر :

– والآن خبرنى . ! لماذا اعترضت طريق ماكنزى وتحدثت اليه . اما كنت تخشى ان يرتاب فيك ؟

– انه ما كاد ليرتاب فى يا صديقى . كيف يرتاب فى رجل يعترض طريقه ويتحدث اليه . ! انه جدير بان يرتاب فى شخص يحاول ان يتوارى ويسرع بالابتعاد .

– وهذه البرقية التى اطلعك عليها . ؟

– فيها نبأ بأن قاتل دانيل ليفى قد اعتقل

– اعتقل . ! اذن فلا داعى لهذا التنكر

– طبعا

- ومن هو القاتل . ؟

وسكت لوبين برهة ثم قال :

- لقد ارتبت فى انى أنا القاتل وعقابا لك لن أذكر لك اسم القاتل الحقيقى .

- ارجوك .. اغفر لى زلتى

- القاتل هو ذلك السكرتير المطرود كما توقعت . ولم يطلق النار على ليفى كما ذكرت الصحيفة وانما طعنه بخنجر ولهذا لم أسمع دوى الرصاصة لانها لم تطلق .

وهز روجر رأسه وقال :

- غفر الله لهما .

فابتسم لوبين وقال :

- وغفر لنا .. فاننا أشد منهما تلوثا بالاثم

الخاتمة

بعد بضعة ايام .. وفى مدينة برن بسويسرا . تلقى ارسين لوبين رسالتين .

واذ قرأهما ارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة وقال يخاطب روجر :

- رسالة من تيدى . ورسالة من .. كاميلا

فهتف روجر : كاميلا .. ماذا تقول ؟ ..

وبعد سكتةقصيرة قال لوبين : يقول تيدى فى رسالته ان كاميلا كاشفته بكل شىء . كاشفته بانها كانت تحبنى واننى كنت احبها . وكيف عملت على تنفيرها منى . وعقب على هذا بانه مدين لى بسعادته .. وانه لا يدرى كيف يوفنى حقى من الشكر .

- وكاميلا .. ؟ ماذا قالت ؟

- قالت انها كاشفت تيدى بكل شىء .. وانها تحاول ان تنسى .. وانها ستكون سعيدة .

وهز روجر راسه في حزن وقال : سعيدة · ! الا ليتها تدرك ثمن هذه السعادة ! من أجل اسعادها حطمت قلبك وسحقته ·· ! صدقت ياروجر · ولكني سعيد · ! سعيد جدا ·! الا يكون الحب عبثا وسخافة اذا كان عماده الأنانية ! انى احبها فينبغى ان اسعدها حتى ولو ضحيت بقلبى من اجل اسعادها ·

وتنهد لوبين ·

وكانت أول تنهدة سمعها روجر تنفرج عنها شفتا هذا الرجل الذى لا يعرف الا الكفاح والجلاد والنضال ·

وفجأة انبعث لوبين واقفا · وقال : هيا بنا · !

– الى اين · ؟

– الى بلد اخرى ·· لقد سئمت برن · !

– ولكن اى بلد ؟

– هذا لا يهم · ! برلين ·· ! باريس ·· ! روما ·· ! فلنرحل ·· هذا كل ما يعنينى · !

ومن بلد الى بلد أخذ لوبين ينتقل ··

من بلد الى بلد ·· لكى ينسى · !

فهل ينسى ·· ؟!

تمت